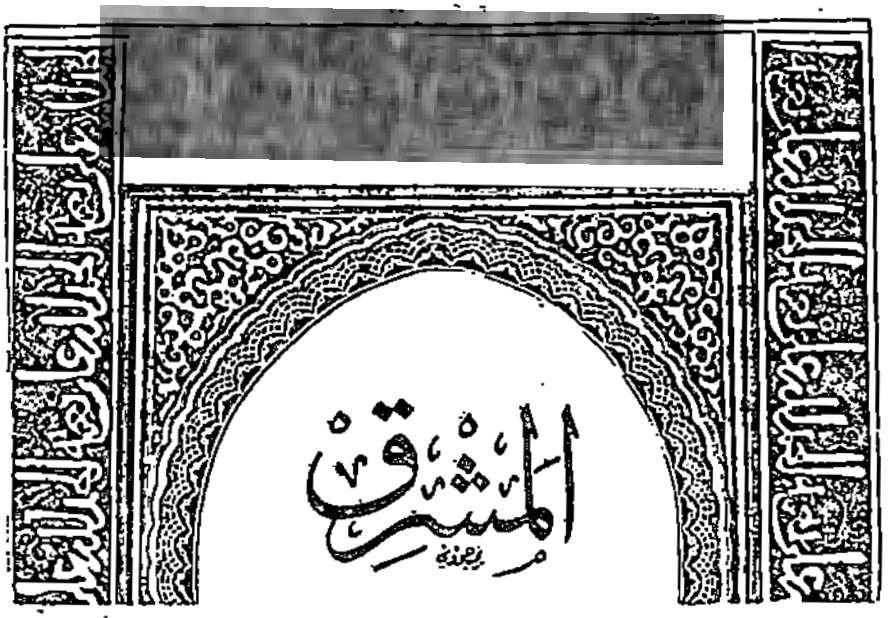

شباط ١٩٣٠

سرّ الحياة

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

ما زال العلماء منذ القديم يجهدون النفس للتوصّل الى معرفة امر الحياة ، والوقوف على سرّها . فكم من مرّة تساءلوا عن مبدأ الحياة ، وعن ماهيّة هذا المبدأ ؛ وحاولوا كشف النقاب عنه ، وصرفوا وكدهم الى تحقّق امر اي: هل ان هذا المبدأ مستقلّ ومتميّز عن المادّة والنفس ام لا ؟ بيدَ ان آراءهم تشتّتت ومذاهبهم تباينت في الجواب . فنسب ابقراط وجالينوس تألّف الحوادث الحيوية واتفاقها الى مبدأ الهيّ ؛ وعزاها ارسطو الى النفس التي سمّاها *entélèchie* : ἐντελέχεια ، وقال: انها القوّة التي بها ينتقل الشيء من حالة الى حالة ، من عدم الى وجود ، بالنظر الى الغاية التي يقصدها . فالنفس على رأي الفيلسوف هي الانتليكيا الاولى نظراً الى الجسم الطبيعي المزدان بالاعضاء ، والحاصل على الحياة بالقوة . وزعم علماء القرون الوسطى ان النفس ثلاث : نباتيّة ، وحسيّة ، وعاقلة ؛ فكانهم قالوا

بثلاثة مبادئ تعليلاً للحياة . ثم قام باريلز ونسب الولادة والنموّ والبقاء في الاحياء الى سانس يسوس ويدبّر الحياة المادّيّة ، واستعمل لفظة *archée*[1] دلالة على هذا المعنى ، وجعل مركز هذا السانس في المعدة ، وزعم انه يدفع عن الانسان عوامل الهلاك الآتية من الخارج . واماً ڤانهلمونت (J.B.van Helmont) فذهب الى ان هذا السانس *archée* هو المبدأ المتسلّط على وظائف الحياة والمشكّل الاجسام بالاشكال التي لها ، وسمّاه الصورة المنويّة (*imago seminalis*) . ونسب آخرون الحوادث الحيويّة كلها الى الافعال الآليّة ، وحصرها غيرهم في علم الكيمياء الذي كان شائعاً في ذلك الزمان .

غير ان شتال (Stahl) الالماني صاحب المذهب النفساني (*animisme*) جعل النفس وحدها مقام ذلك السانس الذي نسب اليه باريلز وڤانهلمونت مبدأ الحياة . وما عتم ان حلّ المذهب الحيوي (*vitalisme*) محل المذهب النفساني وذلك في مدرسة منپيليه ، وظنّ رئيس هذه المدرسة پول برته (Barthez) ان المبدأ الحيويّ متميّز جوهرياً عن المادّة المؤلّفة من اعضاء ، وناشئ على نوع ما من النفس . وفي الجملة ما بقي فيلسوف ولا فيسيولوجي الّا طرق باب هذه المسئلة . فما هي اذن الحياة ؟ الى يومنا الحاضر لم يتوصّل العلماء ، مع كثرة ابحاثهم ودرسهم الى تحديد الحياة ، وقد وصفوها بانها عبارة عن جملة الحوادث المتنوّعة التي تظهر في كل مخلوق بمصوّر تام معرّض للهرم والموت . وهي متوقّفة على قوة واحدة ، او قوى كثيرة تسبّب هذه الحوادث . فالجماد لا يولد بل يتكوّن بالتجمع ، ويكبر بانضمام الاجزاء بعضها الى بعض ، ولا يموت . واماً الاجسام الحيّة ، فعلى الضدّ ، فانها تولد من حيّ ، وتنمو ، ويدركها الهرم ، فتموت .

على ان الحياة البشرية تشمل الوظائف العضوية الضرورية لنموّ الشخص وبقائه ، كالتنفس ، والتغذية ، والهضم ، ودوران الدم . وقد صرف العلماء عنايتهم

١) هو مبدأ غير هيولي يمتاز عن النفس العاقلة ، متسلط على حوادث الحياة المادية . وقد اخترع الكلمة باسيل والانتن (Valentin) واستعملها باريلز وڤانهلمونت وهي مشتقة من ἀρχή : أمر ، وساس .

الى معرفة مركز الحياة كما جزفوا وكدهم ايضاً الى معرفة مركز النفس . فارسطو جعله في القلب الذي هو ، على زعمه ، مبدأ الحياة والفهم . وجعله آخرون في الصدر او في الرأس . ولمّا اهمل الفيسيولوجيون المتأخرون قرائحهم للوقوف على معرفة الاعضاء التي توصل تأثير الجسد الى النفس ، فيتأثر بالتأثير المختصّ به ، نسبوه الى اعصاب النخاع الشوكي . فقال فلورنس (Flourens) ان مركز الحياة في النخاع الطويل المسمى العقدة الحيوية (*nœud vital*) ، الى غير ذلك من الاقوال التي يطول بنا الشرح اذا حاولنا ذكرها .

بل قد سمّى الاقدمون نفس العالم المبدأ الذي يحيي الكائنات ، وهي ، بالنسبة الى المادّة ، كالمبدأ المحرّك القادر على تكوين وتشكيل انسجة الحيوان والنبات . وجعل الفلاسفة فيثاغورس وافلاطون والاسكندريون نفس العالم وسطاً بين الاله الاعظم والكون . وذهب الرواقيون منهم الى انها عين الله ؛ فانتشر ، من اجل هذا الزعم ، مذهب الحلول . وبعد ان تلاشى هذا التعليم في الاجيال الوسطى ، عاد ارباب الكفر والالحاد ، ايام النهضة فبعثوه من رمسه . وكانت الغاية من نشر هذا التعليم والقول بنفس العالم ذريعةً استعملها بعضهم لتعليل النظام السائد في الكون والدالّ على عقل غير متناهٍ .

لا ريب في ان العلم قد خطا الى الامام خطوة كبيرة ، غير انه لم يتوصل بالرغم من تقدّمه الى تحديد الحياة . ولمّا كان من المستحيل تحديد الحياة ، فلا بأس من بسط الكلام في الجماد والحيّ والتمييز بينهما .

ما من احد ينكر ان علم الكيمياء قد تقدّم في هذا العصر تقدماً كبيراً ، حتى انه توصل الى تحليل المادّة الحية ، وتبيان الاجزاء التي تتركب منها ، اعني الخلية وذلك في الحيوان والنبات . الّا ان الصعوبة كلها متوقفة على ادراك كنه هذه الخلية ؛ اذ ان اكثر المواد التي تتركب منها الخلية ثابتة غير متغيرة . فالآح مثلاً الذي هو مثال المادّة الحية يتركب من الهيدروجن ، والاكسيجن ، والازوت ، والكربون . ففي القرن الماضي قام مرسلان برتلو واخترع له مذهباً ، استعمل فيه موادّ عضوية وكحولية وتوصل الى تركيب خليّة ، فصفق له حينئذٍ اصحاب مذهب توحيد الاشياء (*monisme*) استحساناً ، وزعموا انه

اصطنع واخترع مادّة حيّة ؛ وادعى عين المدّعى ستيفان لدوك (Leduc) . ولكن تبيّن بعد الفحص ان المادّة التي حصل عليها برتلو مادة ميتة ، اومركب كيمي لا غير ؛ وشتان ما بين تصوير وتشبيح خليّة عادمة الحياة وخلق خليّة حيّة مثلها . فاذن المعضلة اليوم هي كما كانت في ايام ارسطو . ولا غرو اذا قلنا ان العلم ، على تقدّمه ، لم يتوفق بعد الى كشف القناع عن سرّ الحياة . وقد خابت ظنون الذين أعظموا فكرة برتلو ، وادعوا انه ، بما اخترع من التراكيب ، قد توصّل الى ابداء سرّ الحياة . اذ ان هذا الرجل لم يحصل الّا على مركّب جامد عادم الحياة لا ينمو ولا يكبر ، بينما الحيّ يتنفّس ويأكل ويحيا ويختار قُوتَهُ ويحيله الى جوهره . والى الآن لم يهتدِ الفيسيولوجيون الى معرفة هذه الآلة السريّة التي تأتي هذه الافعال . امّا ان هذه الآلة الخلية ؟ اما ان الحي ينتقي من الارض قوته قوامَ حياته فيأكله ويهضمه ، ويستخلص النافع ويرمي بالضارّ ، وهو يباشر افعاله الحيويّة ؟ فالخلية تعمل عن اضطرار ولا تعرف الغاية التي تتجه اليها ، لانها مسوقة الى العمل بطريق الالهام لا غير كما يجري للحيوان . ومهما جهد العلماء انفسهم وكدّوا قرائحهم فليس في طوقهم ان يخلقوا قطرة دم ، او عظماً صغيراً ، او مخّ بيضة .

قلنا ان المادّة الحيّة تنمو ، ولكنها بنموّها لا تبقى على حالها ، بل يعرض لها تطوّرات متشابهة ؛ ومتى بلغت حدّها الذي في طاقتها ان تبلغه وقفت عند ذلك الحدّ ، وصارت قسمين ، وولدت اولاداً احياء مثلها على التوالي ، اذ انها أوتيت قوة الولادة والبقاء في نسلها . هذا وانه قبل اختبارات العلّامة پاستور العلمية ، كان سبيل او متدح الى اعتقاد او بالاحرى ظنّ الولادة الابتدائية . ولكن ذلك الاعتقاد او الظنّ قد نسخ العلمُ اليقينُ آثاره ، وبرهن جليّاً ان لا حيّ الّا من حيّ ؛ وان جراثيم الامراض تتولد من جراثيم سابقة . ولو كان الامر على خلاف قولنا ، لهلك اكثر البشر والحيوان . والحال ان المرء لا يصاب بالسل ، او التيفئة ، او الطاعون ان لم يصادف جراثيم هذه الاوبئة ؛ بل كان بذل الهمّة في اجتناب الامراض ضرباً من الباطل ، مع ان الامر ثابت لا شكّ فيه . فكم من الامراض التي كانت تفتك بالآدميين في

الماضي تلاشت تقريباً كالبرص ، او خفّت وطأتها كثيراً ؟ فاذا يقول اصحاب مذهب التوالد الابتدائي ، وكيف يستطيعون الى انكار هذه الحقائق سبيلاً ؟

فاذن لا حيّ الّا من حيّ ، ولا خليّة الّا من خليّة ، ولا دجاجة الّا من بيضة . وقد زعم بعض العلماء ان الصعوبة كلها تتوقف على تركيب مادّة الخليّة ، اي ما يسمونه *protoplasma* . ولكن كل حي يشتمل على شيء من هذه المادّة ، حتى ان هِكِل ادعى ان هذه المادّة قوام الخليّة واصل الانسان ، ولم يتوفّق بعد احد الى رؤيتها لانها اليوم على زعمهم غير موجودة . غير ان الفيسيولوجيين مع طول نظرهم في هذه المادّة ، ودرسهم لها ، ورقبهم اياها بالمراقب والمجاهر لم يثبتوا الى اليوم خليسة واحدة فقط مركبة من مادّة البروتوبلسما لا غير ؛ بل ان المتعمقين في درسها لا يرون انها بسيطة البساطة التي ينسبها اليها بعضهم . اذ ان الاختبارات العلمية اثبتت العكس ، اي ان هذه المادّة مركبة من موادّ كثيرة تحار في سرها ارجح الاحلام . وزد على ذلك ان كل خليّة تتضمّن نواة ، وهذه النواة تشتمل على حُبيبات حيّة ذات خواصّ مختصة بها .

فاذا فرضنا ان الانسان توصّل ذات يوم الى رؤية هذه المادّة ، او الذرّة العضوية التي يزعم بعضهم انها مبدأ الحياة ، فهل يستطيع يا ترى الوقوف على سرّ الحياة ، ولاسيما عند ما يرى ويوقن ان هذه الذرّة ، على صغر حجمها ، وخفّة جسمها ، تحتوي على الوف بل ملايين من الذرّات التي لا تبصرها العين المجرّدة ؟ أما اثبت الطبيعيون ان ذرّة واحدة من الهيدروجن مكوّنة من الفي جزء متمايزة بعضها عن بعض كل التمايز ، وان الذرّة الواحدة من « الزلال » *albumine* تحتوي ١١٣٠ جزءاً من الهيدروجن ؛ وان هذه الذرة الصغيرة تحتوي على نحو ثلاثة ملايين ذرة اصغر منها فضلاً عما فيها من الاجسام الاخرى ؟ [1]

. . .

وليس الامر كما وصفنا في الخلايا الوالدة بل هو كذلك في الخلايا المولودة ايضاً . وماذا نقول اذا عرفنا ان بيضة الارنكة الصغيرة كل الصغر تنقف عن

١) راجع الاب مورو: *D'où venons - nous ?, p.110*

سمكة ، لا عن طائر ، ولا عن زحافة ؟ على ان الارنكة تبيض ٣٥ الف بيضة ، والزّجر *esturgeon* الوسط يبيض ١,٤٠٠,٠٠٠ وكلها تنقف عن سمك يشبه الام الوالدة كل الشبه . فكيف يصح ان هذه الطُّيرة البروتوبلسمية ، مع دقّتها ، تلد ، بعد التطوُّرات العديدة ، حيواناً حيّاً ، والحيوان يلد انواعاً كثيرة ، بل سلالات متباينة . لعمري ان في هذا لعجباً ! ولو قدر الانسان على خلق جزء صغير حي لقدر ايضاً على خلق الجمل والفيل ، واصبح كما قال احد الفيسيولوجيين « اقوى من الطبيعة ، واقدر على الخلق من الخالق ، بل قديراً كغير المتناهي . »

فاذن العلم في حالته الحاضرة ما توصّل الى الآن ، ولعله لن يتوصّل ابداً ، الى شرح اصل الحياة وتبيين آليتها ، لعجزه عن تعليل انتشارها على الارض . فمتى يا ترى بدأت الحياة وظهرت ، وكيف كان بدؤها وظهورها وانتشارها ، ولا سيما هذه الحياة الحيوانية التي يتمتع بها الآدميون ؟ هذا سرّ لا يدركه عقل بشر . انك ايها العلم عاجز قاصر ؛ ولكنك لا تقرّ بعجزك ولا تجاهر بقصورك بل تريد ان تدّعي لنفسك اكثر مما لك ، فتنكر احياناً الحقائق الموحاة ، ولا تسلّم بالاسرار الفائقة المدارك مُحتجّاً بحجج واهية . اني وسعك الآن ان تبيّن ما هي الحياة ؟ فاخجل من قصورك واسمع مني كلمة تعلّمك ما لا تعلم وتركنك ما لم تركن : « في البدء خلق الله السماوات والارض . » افهمت الآن اصل الحياة ، وعرفت مبدعها ومُنشئها ! حسبك زواغ ! نعم ان الحياة بدأت في الماء اولاً ، ثم في البر والهواء ؛ فالذي اوجد الخلية الاولى اوجد الباقي .

غير ان اصحاب مذهب النشوء حاولوا ان يفسّروا هذه التطوُّرات ، اعني انتقال الحياة التي كانت في اول امرها حياة واحدة بسيطة ، ثم تكاثرت وتعدّدت وتركبت ، فقالوا : ان ذوات الفقار الاولية قد تسلسلت من حيوانات بحرية شبيهة بانقاف الحيوانات الرخوة العادمة الفقار ، التي لا رأس لها يمتاز عن جسمها ؛ وان هذا الصنف تولّدت منه الاسماك ، ثم بعد حين تسلسل منه الحيوان الذي يعيش في الماء والبرّ ، وبعد ذلك نشأت وانتشرت الدبابات والحشرات . اما ذوات الاثداء فتتصل على زعمهم الى الطير المائة بقرابة الى

الحشرات الطيّارة ، وقد تطوّرت واستحالت من حال الى حال حتى ظهر القرد جدّ الانسان . ولكن هذا التطوّر الذي يدّعونه ليس له من وجود البتة ؛ بل ان علم طبقات الارض والتاريخ ينكران ويردّان هذا الزعم .

اولًا علم طبقات الارض: لقد ذهب الاستاذ لويس اغاسيز[1] الى ان طرف شاطئ فلوريدة الجنوبي قد تكوّن على توالي الدهور من تجمع اخطبوط البحر المناطق الحارّة ، وحسب — ان صحّ حسابه — ان ذلك اقتضى نحو مئتي الف سنة . والحال انا اذا قابلنا هذا الحيوان القديم بالحديث لم نجد بينهما فرقاً . ثم اننا اذا قابلنا نبات العصر الرابع ، عصر الجليد ، بنباتنا الحاضر حصلنا على نفس النتيجة . هذا وانهم قد اكتشفوا مؤخرًا على مقربة من هوهنهوزن (Hohenhausen) من اعمال زوريخ في سويسرة ، انواعاً شتى من النبات القديم العهد ، كالإيف (*if*) والصنوبر البري ، ونوع آخر من الدرعر (*mélèze*) ، والسندر (*bouleau*) والسنديان ، والبندق ، فقوبلت بالاشجار الحاضرة من نوعها فلم يوجد فرق بين القديم والحديث ، والنابر والحاضر[2] . قال صموئيل پوزي : « اننا اذا نسبنا عدم التغيّر الى الانواع لا نعني عدم تنوّعها ، بل نريد انها غير متحوّلة ، اي ان النوع لا يستحيل الى نوع آخر[3] . »

ثانياً التاريخ : لقد اكتشف ايضاً الاثريون ، في الجيل الماضي والحاضر ، في مدافن المصريين بذرًا ومومياء بعض الحيوان منذ الدولة الرابعة التي ملكت في اوائل الالف الرابع قبل المسيح ، وكل ما اكتشف هنالك يشبه ما عندنا اليوم . وكذلك وصف ارسطو منذ اثنين وثلاثمائة سنة حيواناً ونباتاً ، ووصفه موافق للحيوان والنبات نفسهما الموجودين الآن . وزد على ذلك كله ايضاً ما وُجد في مدينتي هركولانوم وبومبي اللتين اغرقهما الوزوف بحممه من الثار والاصداف التي هي اليوم في متحف نابولي ، وهي كلها شبيهة كل الشبه بانواعها الحاضرة .

على ان اصحاب مذهب النشوء تخلّصاً من هذا المأزق يدّعون ان هذا

١) راجع كتابه : *De l'espèce et de la classification en zoologie, p. 80*

٢) راجع *Pozzy, la terre et le récit biblique de la création, p. 357*

٣) راجع كتابه المذكور : *op. cit. p. 354*

التطور والاستحالة قد حدثا بغتة واتفاقاً . ولكن دعواهم هذه باطلة بدليل ان قوام النوع شيئان : التشابه والبنوّة . فالنوع عبارة عن افراد قادرة على المحافظة على صفاتها الجوهرية معرّضة لتطوّرات ثنوية . والحال ان النوع لا يتغيّر تغيّرًا اتفاقيًا الّا تدريجًا ، وما زال الانسان والطبيعة عينها عاجزين عن الاتيان بمثال هذا التغير او الاستحالة ؛ وما فتئت بيضة السمكة تنقف عن سمكة مثل الامّ ، وبيضة العصفور عن عصفور . اذن الزعم لا يكفي ، وكل كلام بلا برهان مقنع وحجة واضحة مردود . فاصحاب مذهب النشوء يستندون في اقوالهم الى مزاعم لا يقوم عليها دليل ؛ لاننا اذا قلنا لهم : أرونا حيواناً استحال من نوعه وانتقل الى نوع آخر ، وقفوا حائرين باثرين لا يدرون ماذا يقولون ؛ بل تحكموا في الجدال واظهروا انفسهم معاندين او مكابرين ، او بالاحرى مغالطين ومشاغبين . فكم من الانواع ما زالت على الحالة التي خُلقت فيها لاول مرّة ، ولم يجرِ عليها شيء من الاستحالة والتغيّر ! فبين الانواع التي يسميها العلماء (*Trilobites*) البالغة ٣٥٠ نوعاً لا يُرى شيء من التغيّر الّا في بضعة انواع لا تزيد على العشرة ، وهذا التغيّر يكاد لا يُفرق . وكم من الانواع بادت وانقرضت لان نسلها ما قوي على الصبر على الهواء الذي عاش في وسطه ، وما بقي منها اقل كمالًا الان منه في الاعصر السالفة ! وقد نسبوا اشياء كثيرة الى اثر الهواء الذي من شأنه ان يكوّن ويشكّل الاعضاء ، والى تنازع البقاء الذي يخضع الضعيف للقوي ، والى غريزة طبيعية ، او جبلة فطرية تدفع الحيوان او النبات الى تكميل انواعه ، غير ان هذه ترّهات قد اكل عليها الدهر وشرب ، ونقض اصحاب مذهب النشوء بدهم منها لما ظهر من فسادها وبطلانها .

النتيجة : ان العلم مهما حاول شرح الحياة ونسبتها الى تطوُّرات او استحالات عاد مخذولًا . ولو نظر الناظر في الصفحة الاولى من الكتاب الكريم لرأى فيه ما يغنيه عن المشاغبة والمغالطة ، وايقن ان الحيّ لا يولد الّا من حيّ مثله ، وفهم ان الحيّ الاول القديم الازلي السرمدي خلق كل حيّ ، اذ الحياة ملكه وقد اشرك فيها خلائقه كرماً منه وتفضّلًا .

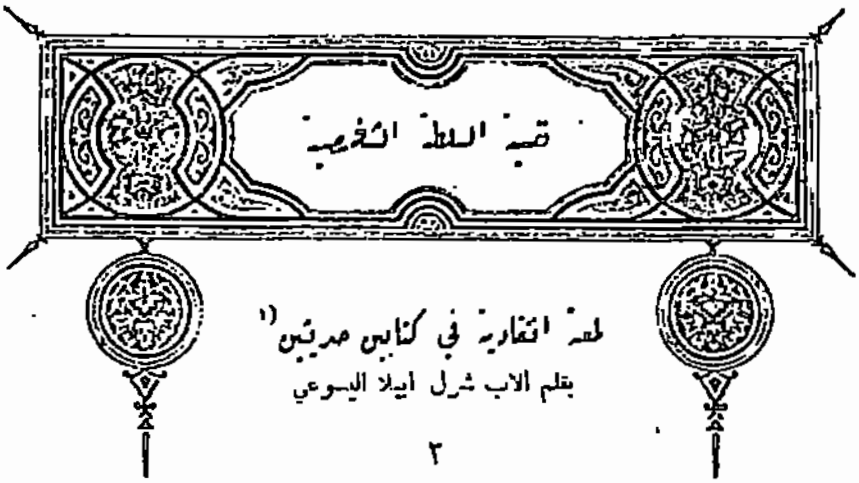

قيمة السلطة الشخصية

لمحة انتقادية في كتابين حديثين[1]

بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي

٢

ماهية السطوة الكاملة

من حيث تأثيرها في المرؤوس

ارتأى بعضهم ان السطوة تقتضي مائعاً خصوصياً ينقل هيبة الرئيس الى المرؤوس . فيكون هذا المائع شبيهاً «بالمائع الحيوي» الذي من شأنه ان ينقل افكار فرد الى آخر ، فيستطيع هذا ان يقرأها من بعيد . وقد سبق لنا الكلام عن هذا المائع في جزء حزيران الماضي (ص ٤٠٨).

على انَّ الاب تولموند ، وان كان لا ينفي بتاتاً احتمال مائع كهذا ، فلا يسلِّم بضرورته بل يصرّح ، مستنداً الى الاختبار ، انَّ السطوة التامة هي بغنىً عن العامل المذكور.

كذلك يُقيم الادلّة الراهنة على انَّ السطوة لا تعود الى الاستهواء والتنويم المغناطيسي.

وبعد تفنيد النظريتين الموماً اليهما يشرع الاب تولموند في التنقيب عن ماهية السطوة الكاملة فيستطلعها اولاً من تأثيراتها في المرؤوس . ولا غرو فان

---

(١) **L'Abbé Jean Toulemonde**, *Licencié ès-Sciences, Docteur ès-Lettres, Professeur de Psychologie appliquée à l'Université Catholique de Lille*,

1° L'Art de commander, Psychologie de l'Autorité personnelle; *in*-8°; *VIII* – 321*pp.*;

2° Pour avoir de l'autorité; *in*-8°, 129*pp. Bloud et Gay, Paris.*

مفاعيل الشيء تُنبئ بما فيه . واليك ما تُحدث السطوة في المرؤوس :

١) الخوف — لا بدَّ منه للحصول على الطاعة ، قلّما يكون ، بادئ بدء . هذا ما تؤيده اصطلاحات الحكّام والمربّين القدماء والحدثاء . اجل انَّ ارباب السلطة في عصرنا الحاضر قد لطّفوا كثيرًا من عوامل الخوف ، ليس فقط في اغلب الشرائع المدنية بل في المعاهد العلمية . على انَّ الخوف لا يزال عاملًا اساسيًا جوهريًا في سياسة الحكومات ، حتى الديموقراطية ، وفي اساليب تربية الاحداث . والحقّ يُقال انك اذا امعنت النظر في الطبيعة البشرية ، ليس مجرَّدةً ولا كما يجب ان تكون ، ولكن معيَّنةً كما هي فعلًا ، خصوصاً في السذّج ، وهم الاكثرية ، والفتيان ، ولم يُثقفوا بعد ، وجدتَ انَّ هذه الطبيعة هي اشدّ ميلًا الى الانفعال منها الى الفعل . فهي « تُنيخ العنق لشهواتها اكثر ممَّا تسوسها . تدفعها قوَّة عنيفة الى ما تتوقع منه لذَّة قريبة شديدة ، ويُقعدها الخمول عن القيام بالواجب المزعج . واذا ما كان هذا الواجب مُلزِماً به من قبل شخص آخر فانه يبدو للطبيعة بمظهر ممقوت ، مقرونـاً باتزعاج لا طاقة لها عليه . فاذ ذاك إمَّا المقاومة جهرًا وإما الانسحاب من امام الواجب تنكُّرًا ، ممَّا يجعل الخوف ضروريًا ، حتى ، اذا ما وقع على المرؤوس ، فكأنه يحدّث ذاته قائلًا : إلَّم اتمّ العمل المفروض فما عسى يتأتّى عليّ من هذا السيد الهائل ، وايّ عقاب ينقضّ على رأسي . فيكبّ على العمل ، وان مُرغمًا في بادئ الامر ، ولكنه لا يلبث ان تستهويه ادبية الاجتهاد .» (٢ : ٣٥)

هذا اذا قصرنا النظر على الافراد فكيف بنا اذا اعتبرنا الجماهير « فان المتجمهرين يتوهمون انه لا يمكن ان يلحقهم اذًى البتة ... فيظنون انه لا خطر عليهم من ان يستبيحوا كلّ مُنكر . فان وقعت فتنة رأيت ، حتى من كان السكون دأبهم من قبل ، يُقيمون المتاريس في الشوارع ويقلبون العربات ويحرقون المنازل وينكّلون بمواطنيهم بل يقتلونهم بعض الاحيان . يقولون : كلّنا اذنبنا . اذن ليس بيننا من مجرم (*Tout le monde est coupable, personne n'est coupable*) (٢ : ص ٣٧) فايّ رادع عندئذٍ يوقف الفتنة غير الارهاب .

على انه فيما يغلب ، وعلى كل حال مع توالي الزمن ، لا بدّ من تعديل الخوف في قلب المرؤوس فلا يرتعش من رئيسه كالمملوك من مقتنيه بل يجله اجلال الابن لابيه . ومما يلين الخوف الاعجابُ .

٢ً) الاعجاب — ومن مظاهره والادلة على ضرورته ، دأب المرؤوس في الاقتداء برئيسه ، على ما يغلب . وقد يبلغ بالمرء هذا الميل الى حدّ انه يأخذ من وليّ امره حتى نقائصه . فقد عرفتُ رجلًا نال بعض الشهرة في فنّ الخطابة وكان قد درسه على احد الاساتذة فالتقط منه ما يدعوه ارباب الالقاء « نغمة الوعاظ » (*le ton prédicateur*) فلم يتحرّر منها طيلة حياته .

وعلى كل حال فلا يجدّ الانسان في اقتباس مزايا غيره ما لم يوقن انه عار منها وما لم يستحسنها ويُعجب بها . وسيّان كونه مصيباً في استحسانه او مخطئاً

ومما يُستغرَب لاوّل نظرة أن شاعرة الاعجاب هذه تتفق في القلب الواحد مع الأنانية والكبرياء بل تشتدّ بهما . على ان الواقع بخلاف ما يظهر لاوّل وهلة . فانّ الانسان ميالٌ من طبعه الى الافتخار ، فاذا لم يجد مدعاةً له في نفسه ، فانه يعمد الى محامد ذويه ليبتهي بها . أفما سمعتَ الفتى يلهج بعلم ابيه او كرمه ، والخادم بثروة مخدومه . وعلامَ كان الضبّاط في الحرب الكبرى يخاطرون بحياتهم الى حدّ التهوّر والجنون في الظاهر ، وبدون ما داعٍ سوى رغبتهم في ان يروا اعجابَ جنودهم فخضوعهم لاوامرهم ؟ اوَ ليس اعجاب الطلّاب بقوّة عقل استاذهم وسعة معارفه او حزم ارادته من اكبر عوامل سلطته ؟ كان تلاميذ افلاطون يقولون: « هوَ قال » فحسبُ .

٣ً) الثقة — وهي بنت الاعجاب . فانه يلد في الانفس الاعتقاد بحكمة المعجَب به وعلمه وحنكته . ومن جهة اخرى قلّما يُشغف البشر بما يشغل البال مما تقتضيه الاحوال من النظر السابق الى الحوادث واستدراكها فيرتاحون الى تسليم امرهم ، وبالتالي حرّيتهم ، الى من ايقنوا انه يدرأ عنهم المساوئ ويُنيلهم الراحة والغبطة .

٤ً) المحبة — ومن معترض يقول انها لا تساكن الخوف في قلب المرؤوس

وانَّ هذا إمَّا يُخاف وليه وإمَّا يحبّه فلا اخاء بين العاطفتين.

على انَّ الواقع بالخلاف ولاسيما اذا امعنَّا النظر في الحوادث وفي كنه الحبّ الواجب لتوطيد السلطة. «فاذا تلاقى رجلان كانا قد خاضا معاً ساحة الوغى فانهما لا يلّان من المحادثة بما عانيا من الاهوال في المعامع ... فلا شك ان ذكرى هذه الاهوال مما يهيج فؤاديهما. ذلك لأنّ ما مضى من العذاب قد زال عنه تماماً شبح الالم. وانما خلد منه المجد والبطولة والتفاني في سبيل فكرة شريفة سامية. وكأنّ كل هذه الاهوال المشتّتة قد اجتمعت وتمثّلت في شخص الرئيس الحربي، لانه هو ايضاً قد ذاقها او — قلّما يكون — أمر بها .... فيحبه الرفيقان القديمان كما يُحبّان ذكرى مراراتهما القديمة.» (٢ : ٧٥)

وعلى كل حال فليس من ينكر ان الاسكندر وتورين ونابوليون كان جنودهم مشغفين بهم الى حدّ الهوس.

امَّا اجتماع الخوف والحب طبعاً في قلب الابن لابيه فلا حاجة الى اقامة الحجة عليه:

وقد تحقّق الخبراء من المربّين ان الاولاد يحبّون مَن كان ذا حزم من اساتذتهم ويحفظون له الذكر الحسن. وانَّ المعلّمين ايضاً يعون في اجتذاب قلوب الطلّاب، لعلمهم ان الحبّ يسهّل الطاعة ويُدعم في قلب الطالب اليقين انَّ ما يلقنه الاستاذ من المعارف هوَ الحقيقة بعينها، وما يأمره به من العمل هوَ الخير بذاته. قال القديس اغوسطينوس: «حيث استتبّ الحبّ فليس من عناء او، ان كان ثمّة عناء، فالعناء محبوب.»

على أنَّ حب المرؤوس لرئيسه ليس من نوع الحنان فانّ الحنان ينحدر من القويّ الى الضعيف، لا يصعد. ولا هوَ من نوع الصداقة التي تقتضي او تُحدث المساواة. وانما هوَ اقرب الى الاهتياب والاحترام. فهو مزيج من الخوف والاكرام ومن ثَمَّ لا بدّ لتوطيد السلطة من ان يسبقَ الخوفُ المحبةَ في قلب المرؤوس. وإلّا فلا يلبث الحبّ ان ينقلب ويُمسي فيه انانيةً وتمرّداً.

* * *

٣

نفسية صاحب السطوة الكاملة

الى الآن لم ننظر الى ماهية السطوة الا من الخارج . فان مفاعيلها التي سبق البحث عنها هي في المرؤوس دون الرئيس . فبقي علينا ان نكشف النقاب عن داخلية الرئيس الحقيقي كيما نطلع على المزايا التي تمكنه ممَّن هم تحت امارته . وانما تنحصر انواع هذه المزايا في القوّة .

والمراد بالقوة هنا ليس المادّية منها . فان هذه ، وان كان لها بعض الشأن فليست ممَّا لا يُستغنى عنه . وعلى كل حال لا تجدي السطوة نفعاً ما لم تكن مقرونة بالقوّة الروحية . وهذه تقوم خصوصاً بحزم الارادة الذي لا غنى عنه للرئيس .

وينشأ الحزم هذا خصوصاً عن «روح التسلّط» الذي سبقت الاشارة اليه في القسم الاول . وقوامه بان يوقن الرئيس تفوّقه على مرؤوسيه .

ولا مشاحة ان «روح التسلّط» الموصوف قد يصدر عن حب العظمة والكبرياء . على انه يأتلف ايضاً في القلب الواحد مع التواضع الصادق الصميم . فاربّ قديس يحسب ذاته احقر البشر بل اشقى الخطأة ؛ غير انه اذا ما وُلّي على جمهور اعتقد انه يرجح عليهم ، ليس بالفضل الشخصي والعلم والتقى ، ولكن بما قُلّد من السلطة الشرعية . فانها في عين ايمانه الوطيد تُعليه فوقهم اذ ترفعه ، بالرغم ممَّا يوقن من حقارته وعدم اهليته ، الى مقام نائب الله عزّ وجل . فليس الزهو اصل روح التسلط فيه ، بل الايمان بعظمة الله وربوبيته . واية قوّة اشدّ من قوّة الايمان الحيّ ؟ بل ان صولة الوليّ تزداد شدّة وتشتدّ وقعاً في الافئدة ، بمقدار ما يتناسى ذاتيّته وينقطع فكره الى سموّ وظيفته والخير الذي يتوخّاه لذويه .

ومن النتائج الاولى لليقين الموصوف ان يملك صاحب السطوة ذاته وذلك ليس باستسلامه الى الخمول والاهمال وحب الراحة والسلام ، بل بان تتسلّط ارادته تسلّطاً مطلقاً على قواه العقلية والحسية بل حتى على جسده ، مما ينفي

عنه الاضطراب ويوطد فيه السكينة قلباً وقالباً . فكيف يتمكن من غيره من لا يتمكن من نفسه ؟ وان كان لغضب الرئيس واضطرابه بعض التأثير الحسن في نفس مرؤوسه فما ذاك الا فيما ندر . أما رأيت كيف يتلهى احياناً بعض الصبيان بتحريش رقيهم وتنكيده ، حتى اذا ما ثارت فيه سورة الغضب وفار فاثره ، اخرجوه عن حدّ الصواب واتسع لهم المجال ليسرحوا ويمرحوا على ما يشاؤون .

ومن ملك نفسه احتفظ بوقاره . فتراه رزيناً ، بدون ما تصنع ، في هيئته وسيره وحركته وسكونه وحديثه ولفته وآدابه . يتحاشى الهذر والشتم والكلام الذي السافل ، كما وكل ما من شأنه ان يحمل المرؤوس على الوهم انّ المسافة ، التي يجب ان تفصله عن وليّه ، قد قربت او زالت تماماً .

وملك الذات هذا ينبغي ان يمتدّ حتى الى الذهن والمخيّلة ، فلا يطلق المتمكن من نفسه العنان لمخيلته ، كيلا تلد لذهنه اشباحاً تضعضع قوّته الادبية . فلا يرتاع من الاعتراضات ولا الانتقادات . ومن قبض على ناصية مخيّلته كفى ذاته ايضاً شرّ لسانه . فبئست الثرثرة ولاسيما في ذوي المقام ! فالصمتُ زينٌ والسكوتُ سلامة ، بل قوّةٌ وسؤدد !

اخيراً لا يملك ذاته من لا يجمع بين صلابة الرأي وسرعة التنفيذ . اجل على الرئيس ان يتروّى مليًّا ، ولاسيما في الامور الخطيرة ، قبل ان يبتّ فيها . امّا وقد حان وقت المضيّ والاجراء فلا يبقى مجالٌ للتردّد والاحجام . فكيف يقتضي الطاعة السريعة من لا يقرّ له قرار ، فيقول في القضية الواحدة تارةً نعم وتارةً لا .

هذا قليل من كثير . واني لعالم اني لم استوف الموضوع باجمعه . ولعلي ظفرتُ بلفت نظر القرّاء الكرام الى ما فيه من المسائل الهامة فشوّقت اليهم التعمق في درسها ، فحسبي !

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

التلفون الاوتوماتيكي

هاك التلفون « الاوتوماتيكي » ، وهو حديث العهد ، فحي بظهوره مساوئ التلفون اليدوي ، ووقف سيداً يتد ملكه يوماً فيوماً من اميركة الى اوربة فآسية . . . امتحنه الافراد والعموم فوجدوا لديه من المحاسن والسهولة والاقتصاد ما جعله تحفة العصر . وادركت الحكومات منافعه ، فصرفت لتعميمه اموالاً طائلة .

دخل الاوتوماتيكي بلاد الشرق الادنى ، فكان اول ظهوره في الاسكندرية . وقد قرّر مؤخراً البرلمان المصري استخدامه في الدوائر الرسمية في القاهرة ، ريثما تُمدّ اسلاكه في جميع احياء البلدة ، خدمةً للمصالح العمومية .

اما في سورية ولبنان فيرجع الفضل ، في ادخال هذا الفنّ الجديد ، الى كلية الآباء اليسوعيين في بيروت ، ومعهد عينطورة في لبنان للمرسلين المازاريين . ففي شهر شباط من السنة الماضية كلفني حضرة الاب ده بونثيل بوضع تلفون جديد ، سدّاً لحاجات الكلية . وكانت فكرته يومئذٍ التخلص من التلفون اليدوي القديم منبت كل شقاء . فجئته بالدرس الوافي ، وبعد ان قابلت واياه بين اجهزة شتى ، آثرنا الاوتوماتيكي ، فطلبت آلاته من الشركة العمومية للتلغراف والتلفون (*Cie Générale de Télégraphie et de Téléphonie*) في باريس ، فجاءت في غاية الاتقان . وكان ذلك في الصيف فباشرت وضعها

وعدّ اسلاكها . وقد جرت حفلة التدشين في العاشر من تشرين الاول بحضور رئيس الكلية وبعض آبائها الافاضل ، كما ذكرت ذلك جريدة البشير في عددها ٤٠٠٥ فكان لمقالها هذا صدًى رددته بعض الجرائد الوطنية كالاوريان ، وزحلة الفتاة ، ودير القمر .

وما كاد يصل تلفون الكلية حتى فاتحني حضرة الاب سادلوت ، رئيس معهد عينطورة ، بمسألة التلفون عندهم . فاخبرته بعجائب الاوتوماتيكي ، فطلب اليَّ استحضار ما يلزم دفعات . وها ان آلاتهم تسير بكل دقة منذ شهرين ونيف وهي محط اعجاب الجميع من اساتذة وتلامذة وزوّار . . .

ماهية الاوتوماتيكي

اما الآن وقد ابدينا اهمية الاوتوماتيكي وما يعوّل عليه من المنافع في مستقبل البلاد ، فاننا نقول كلمةً فنيَّة فيه تبيّن للقارئ ما في هذا الاختراع من الدقة والدهاء .

انَّ في المجموع الاوتوماتيكي ثلاثة اشياء : الآلة الفردية ، والمركز الوسطي او السنترال ، والوسط الكهربائي .

١ً – الآلة الفردية

تجعل عند المشترك ، منها ثابتة في الحائط ومنها نقّالة . والرسم ١ يمثل آلة نقّالة تظهر اكبر مما هي اذ ان حجمها الحقيقي لا يتجاوز الخمسة عشر سنتيمترًا طولًا وعرضًا وعلوًا . وقد جمعت هذه الآلة الصغيرة اشياء كثيرة منها المجموع الميكروفوني – التلفوني بقبضته ملقياً فوق الآلة ، والجرس المنبه مخفيًا ضمن العلبة ، ودائرة الارقام لطلب اي مشترك رأساً بدون وسيط . وخارج هذه الآلة وداخلها غاية في الاتقان . تظهر بلونها الاسود اللمّاع كانها من خشب الابنوس .

٢ً – السنترال

السنترال او المركز الوسطي (انظر الرسم ٢) موصول بكل آلة فردية

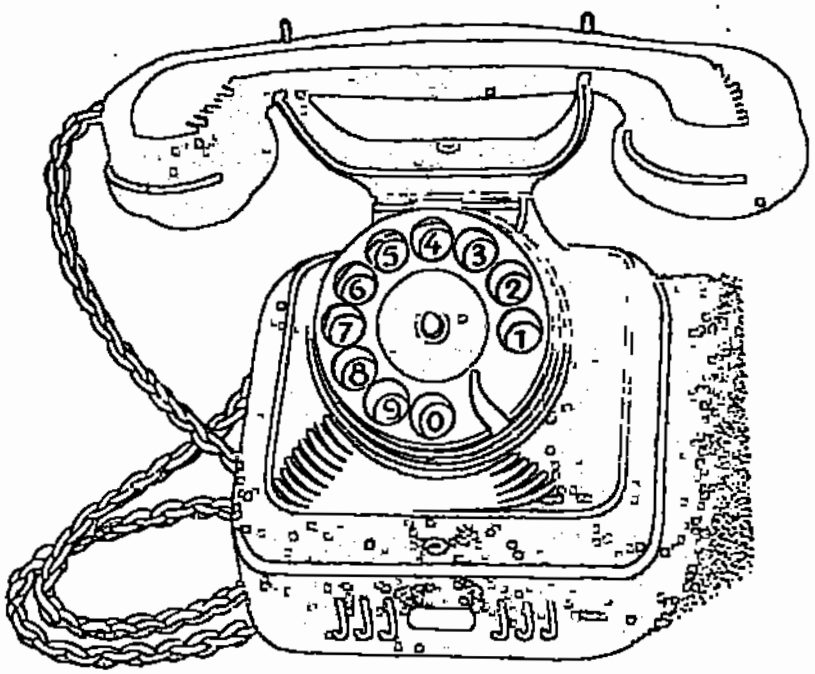

الرسم ١ : منظر لآلة تلفونية فردية نقالة

بواسطة سلكين كهربائيين مجموعين ضمن غلاف من الرصاص ، حفظاً من الكسر وعوامل الرطوبة . ووظيفة المركز هذا اولاً وصل خط الطالب بخط المطلوب ، ودق جرس الثاني متى حرك الاول آلته ، وثانياً ابطال الدق متى جاوب المطلوب ، وتحقيق المخابرة بينهما . فاذا ما انتهى المتحادثان من الكلام وارجع كلٌ منهما مجموعه الى مركزه ، عادَ كلٌ عضو في السنترال الى مكانه . فكأن بالمركز الوسطي الاوتوماتيكي يعمل ما كان يعمله الانسان في التلفون العادي من وصل خطّ الطالب بخطّ المطلوب ، وقطعه متى انتهت المخابرة .

ومن شاهد السنترال الاوتوماتيكي راعه دقة صنعه لما فيه من الآلات الكهربائية والاسلاك الدقيقة مرتبةً كلها بمنتهى الذوق . ويزيد دهشاً لرؤية تلك الآلات موضوعة كلها ضمن صندوق صغير لا يزيد طوله عن الثمانين سنتيمتراً لمركز يقبل

٢٣ مشتركاً ... ومن تلك الآلات : البكرات المغنطيسية التي هي محور العمل والتي توافق كل واحدة منها آلةً فردية ، وآلات دوّارة تعرف بالباحث (*chercheur*) والواصل (*connecteur*) ، تحركها البكرات المغنطيسية فتدور على محورها دينما تصل خطّ الطالب بخطّ المطلوب. ومن البكرات ما وضعت لاحتياجات اخرى كتنظيم التيّار المحرّك للأجراس ، وارساله متقطعاً بحيث لا يُزعج المطلوب بدقّ طويل مستمر : فيدقّ جرسه ثم يسكت ثم يدق وهكذا حتى يجاوب عليه ، او حتى يشعر الطالب بغيابه فيعيد مجموعه الميكروفوني الى نصابه. وعدد الآلات الباحثة والواصلة من الاثنين فصاعداً حسب اهمية السنترال بحيث يجوز تحقيق مخابرتين او اكثر في وقت واحد.

ويُصنع المركز الوسطي بسمات مختلفة . فمنه ما يُعمل لعشرة مشتركين كالذي جُعل في مدرسة عينطورة وهو اصغر شيء في الاوتوماتيكي ، ومنه ما يقبل خمسة عشر مشتركاً او ثلاثة وعشرين كمركز كلية القديس يوسف في بيروت ، ومنه ما جاوز الخمسين عدداً ، او المئة ، او الالف .. والمراكز الصغيرة تستخدم للمصالح الخصوصية كالمدارس والمصارف والدوائر الادارية او التجارية ذات الاهمية . اما المراكز الكبيرة فهي لشركات التلفون ، تستخدم في المدن وضواحيها ، لمصلحة العموم.

٣ – الوسط الكهربائي

قلنا ان من مساوئ التلفون اليدوي ، كما هو موزّع في بعض المدن ومنها بيروت ، احتياجه الى بطاريات تجعل قرب كل آلة فردية ، وهذه البطاريات هي غير التي يستلزمها المركز الوسطي . فهل يحتاج اليها الاوتوماتيكي ايضاً ؟ لا ، ففي الاوتوماتيكي بعض خزّانات تجعل قرب السنترال ، وهي كافية لتحريك جميع آلاته ، ويُعمد الى الخزّانات لأنها أسهل واقوى من البطّاريّات العادية ، تملأ بالكهربا. متى فرغت ويزاد ماؤها من حين الى حين. ولا يجوز ، لتعبيتها ، استعمال الكهربا. الموزّعة في البيوت للنور ، لان توترها عالٍ : ١١٠ ڤولت بينما ان السنترال معمول لتوتر خفيف : ٢٤ ڤولت. ثم ان

كهرباء النور اكثرها من النوع المعروف بالتناوب كما في بيروت ، ومجرى الخزّانات المستعمل في التلفون هو المجرى المستمرّ.

لذلك فالوسط الكهربائي يستدعي آلة لمل. الخزّانات ، تحوّل المجرى المتناوب الى مجرًى مستمر . وهذه الآلة تعرف بالمقوّم (*redresseur*) يعرفها المولعون بالتلفون اللاسلكي ، لاحتياجهم اليها . وفي المركز ايضاً لوحةٌ من الرخام عليها آلة لوزن توتّر المجرى ومفاتيح كهربائية لارسال التيار الكهربائي في الخزّانات عند ملئها ، او ارسال كهربائيتها في السنترال الاوتوماتيكي.

اما الخزّانات فغالباً ما تكون مزدوجة اي مقسومة الى قسمين ، يستخدم قسمٌ بينما يُملأ القسم الآخر ، فبهذه الطريقة لا تقطع المخابرات التلفونية ليلًا ولا نهاراً . ومل. الخزّانات يصير كل خمسة عشر يوماً او كل شهر مرة ، حسب استخدامها ، وذلك بان تقفل مفتاحين على اللوحة ، الاول لارسال المجرى المتناوب في «المقوّم» والثاني لارسال المجرى المستمر الذي يولده هذا في الخزانات.

. . .

كيفية استعمال الآلة الاوتوماتيكية

قلنا ان كل آلة فردية موصولة «بالسنترال» الى رقم مخصوص. فاذا شاء احد المشتركين مخاطبة احد عليه اولًا ان يعرف رقم المطلوب . فان لم يكن يعرفه او يتذكره ، فانه يجده في الدليل التلفوني وهو كتيّب ، تنشره شركات التلفون ، فيه اسماء المشتركين مع رقم كل منهم . وحينئذٍ يرفع المجموع الميكروفوني عن كرسيه ، بان يمسكه في قبضته ، فيسمع خريراً لا يلبث ان يضمحل . وهذا الخرير هو صدى صوت البكرة المغنطيسية في المركز الوسطي وحركة الباحث مفتشاً عن خطّ الطالب ، فاذا صادفه وقف عليه فسكت . . . هذا دورٌ استعدادي اذا لم يتجاوزه الطالب بقيت آلته مقرزة لا تصل الى احد ولا يصل اليها احد ، لذلك عليه اما ان يعيد المجموع الميكروفوني الى مركزه فيحرّر خطه ، واما ان يطلب من يريد مخاطبته . وهذه العملية تجرى بان يدخل سبّابته في رقم المطلوب ، ضمن الدائرة ، ويديره الى اليمين ، حتى الموقف ،

ثم يتركه . فاذ ذاك يتحرك « الواصل » في المركز الوسطي فيدور حتى يقف على خط صاحب الرقم المطلوب واصلاً اياه بخط الطالب. وللحال يرسل المركز تياراً كهربائياً في جرس المطلوب فيدقه متقطعاً الى ان يأتي هذا فيرفع مجموعه مجاوباً . . . تبتدئ حينئذٍ المحادثة لا يعكرها حسّ ولا يقاطعها صوت دخيل . حتى انه لو شاء احد المشتركين عندئذٍ من مخاطبة احد المتكلمين لما استطاع الى ذلك سبيلاً بل اجابه صدى صوت كهربائي من المركز الوسطي كانه يقول: « الخط مشغول ، انتظر قليلاً.»

الاوتوماتيكي المختلط

ان الرسم ١ يمثل آلة فردية خصوصية اي لا تصلح الّا لمخابرات داخلية كالتي تجري بين مأموري دائرة واحدة مثلاً. ولكن اذا شاء احد من هؤلاء الوصول الى مشترك في البلدة لما امكنه الامر وتعذّر ، والحالة هذه ، الى اقتناء آلة غيرها تضمها له شركة التلفون فتصله بالمركز العمومي. وقد يتساءل الناس في هنٍ من سبيل الى وضع آلة واحدة تقوم بالوظيفتين معاً ؟ فالجواب بلى ، وقد حلّ ذلك السؤال شركات منها الشركة الفرنساوية السابق ذكرها ، فوضعت آلة يشتي لمقتنيها مخابرة اي كان ، داخلياً ام خارجياً ، بواسطة مفتاح صغير في الآلة الفردية يديره يميناً او شمالاً . ويقدّ مثلنا في الرسم ٥ هيئة اجمالية للجهاز الاوتوماتيكي المختلط ، يرى فيه القارئ المركز الوسطي (رقم ١) وجملة آلات منها خصوصية كالآلة ٨ ، اي لا وصول لها الّا الى مشترك داخلي ، ومنها مختلطة كالآلة ٥ و٦ و٧ ، اي موصولة بالمركز العمومي والمركز الاوتوماتيكي معاً . امّا الآلة ٤ فهي فريدة في بابها اذ يتيسر لصاحبها ليس فقط الحصول على المخابرات الداخلية والخارجية معاً بل ابلاغ هذه الى اي من الآلات المختلطة ، والتلصص على ما يجري من الحديث بين تلك الآلات والخارج ، وقطع ذلك الحديث ان شاء . وهذا ضروري فيما لو كان صاحب الالة ٤ رئيس دائرة او شركة تجارية يُجب الاطلاع على مخابرات مأموريه . امّا ما يُرى فوق الرقم ٢ و٣ من الرسم نفسه فهي اجراس كهربائية تدق ، اذا

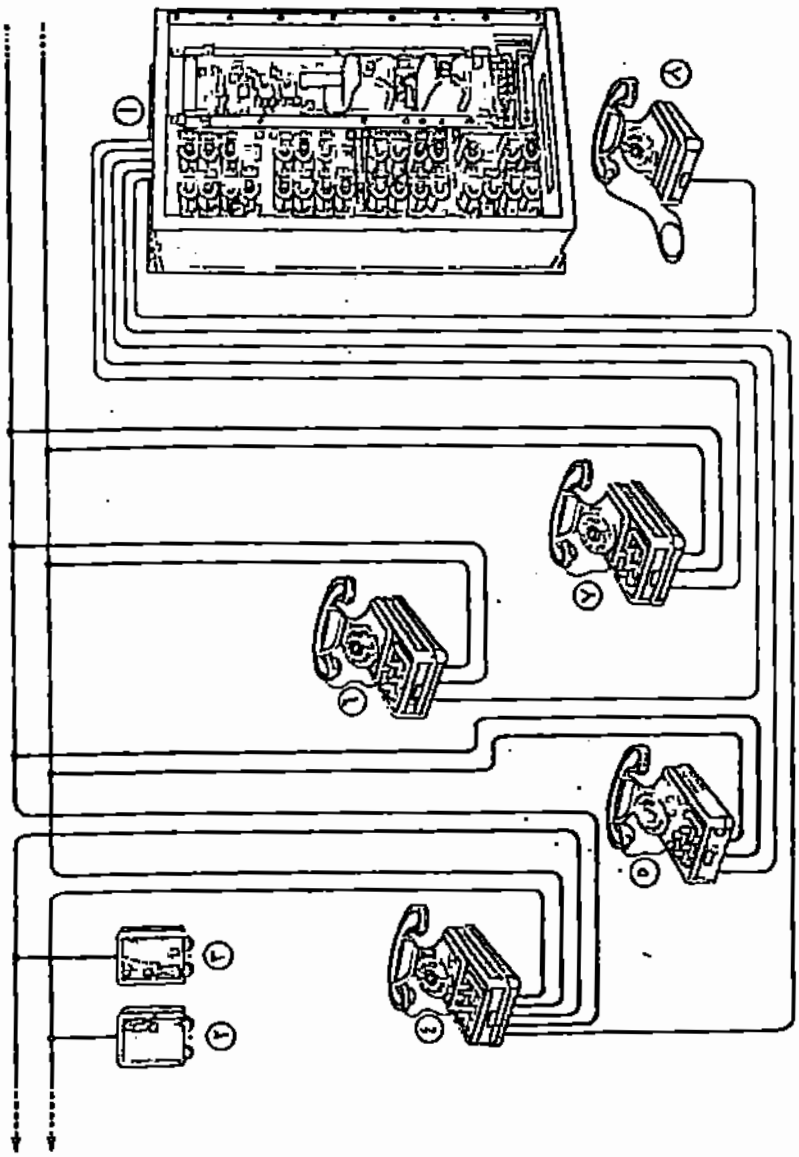

الرسم ٥ : منظر اجمالي لجهاز اوتوماتيكي مختلط

وردت من الخارج مخابرة تلفونية الى احدى الآلات المختلطة.

يُستنتج مما سبق منتهى ما توصّل اليه الانسان في فن التلفون. وسيكون للاوتوماتيكي المختلط المقام الاول سواء كان في اوربة او في بلادنا . كيف لا واي ادارة ، تجارية كانت او رسمية ، تستغني عن مخابرات خارجية ؟ وقد باحثنا مؤخراً شركة الجرّ والتنوير في بيروت في وضع جهاز من هذا النوع في دوائرها ، نؤمل ان تبرزه الى حيز الوجود.

بعض ما يحتاجه الجهاز الاوتوماتيكي

لا يخفى ان الصاعقة اذا نزلت في مكان عطلت فيه ، وقد يخشى وقوعها خصوصاً فوق الاسلاك الكهربائية لأنها تسير حينئذٍ في السلك الى ان تدخل على الآلة الكهربائية فتحرقها او تعطلها . والخسارة عظيمة اذا كانت الآلة مولدة كهربائية قوتها مئات من الاحصنة . لذلك سعى الفنيون في اتقاء شرّ الصواعق بآلة حارسة تجعل بين السلك الخارجي والآلة الكهربائية وتُعرف « بالشاري » (*parafoudre*).

ونظراً لثمن المركز الاوتوماتيكي ودقته فمن المستحسن ، ان لم يكن من الضروري ، حفظه من الكهربائية الدخيلة ككهربائية الصاعقة ، بواسطة مجموع يفرق كثيراً عن الذي يستعمل في الجهازات الصناعية . وهذا المجموع هو الذي يُرى في الرسم ٦ فوق السنترال. فعوضاً من ان تدخل الاسلاك القادمة من الآلات الفردية رأساً في المركز فانها تمرّ في طريقها بسلكٍ دقيق ، طوله سنتمتران او ثلاثة ، موضوع ضمن علبة من البورسلان تعرف بقاطع الخطّ (*coupe-circuit*) فاذا مرّ بهذا السلك تيارٌ اقوى من تيار الخزانات العادي ذاب وامتنع دخول ذلك التيار في السنترال. واذا كانت كهربائية ذلك التيار من الصاعقة فانها تسير في الارض — عندما يقطع عليها خط المركز — بواسطة سلك ثخين مدّ خصيصاً لتلك الغاية.

نفقات الجهاز الاوتوماتيكي

ولا يحسب القارئ ان نفقات الجهاز الاوتوماتيكي واهية لا يقوم بها سوى

الاغنياء او الشركات . فهي ايضاً في استطاعة كثير من الافراد ، وقد راجت تجارتهم وكثرت اشغالهم ، وها اننا نعطي ادناه نفقات جهاز ذي عشر آلات.

مركز وسطي اوتوماتيكي لعشرة خطوط	٥٢٥٠ فرنكاً
عشر آلات خصوصية ثابتة او نقالة	٣٩٠٠
مجموع واق من الكهربائية الداخلية (الشاري)	١١٠٠
عدد كاف من المزانات	١٥٠٠
مقوم للمجرى	١٦٠٠
لوحة رخام لوزن كهربائية المزانات	١٠٠٠
المجموع	١٤٣٥٠

هذا خلا نفقات الشحن والجمرك وثمن الاسلاك ، وهذه يساوي مترها ١,٤٥ فرنكاً اذا كانت لخط واحد ، واكثر قليلاً اذا كانت لخطين فما فوق.

مستقبل الاوتوماتيكي

لا مشاحة في ان مستقبل التلفون في الاوتوماتيكي . كيف لا وانظار العلماء اليوم متجهة نحو الاستغناء عن اليد العاملة مهما امكن ، والتخفيف من مشاق العامل المسكين باختراع الالات اللازمة لكل نوع من العمل . فبتعميم الاوتوماتيكي يستغنى عن مئات من المستخدمات فتوفر بذلك مبالغ طائلة . وقد يرى البعض في ذلك ضرراً لا فائدة لان تلك الموظفة المسكينة قد لا تجد لها بعد ذلك عملاً ، فتصبح مع رفيقاتها من العاطلات . انَّ هذا لصحيح ! انما فوائد الاوتوماتيكي ، في خدمة مصالح العموم ، كثيرة لا تقدر ، والمصلحة العمومية تفضل المصالح الشخصية ! فما احلاه من زمن يوم نرى الاوتوماتيكي ممتداً في بلادنا ، يحادث كل فرد من يشاء بآلة صغيرة وحركة بسيطة فلا يقاطع حديثه غريب ! ان ذلك الزمن لقريب ان شاء الله...

أمالي السنية : ٥

اصل كلمة الفصح وابن بشكوال

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

القسم الثاني : ابن بشكوال والفصح

١

رأي بغدادي

اما الآن ، بعد ان اشبعنا الكلام في المسألة الاصلية ، فلنأت الى المسألة الثانوية ، وهي مسألة اسم بشكوال وعلاقته بكلمة الفصح . وان اردت ان تعرف من هو ، وما غايتنا من البحث عن اصل اسمه ، فما لك الّا ان تقرأ ما يأتي . ننقله لك مقتضباً من مقالة نُشرت في احدى المجلّات البغدادية عنوانها «فضل العربية على سائر اللغات» تجلّ صاحبها الاثبات بان اصل كثير من الكلم الآرية عربي . فدونك ما يهمنا بحرفه ، وان طال :

« ومن غريب الأمر ان مثل هذا التغيير وقع بعد الاسلام وفي ابان ازدهار الآداب العربية . فاخذ السلف عن الاندلسيين الاجانب لفاظاً بصورتها الاعجمية ، في حين كانوا في غنى عنها ، « لان ما اقتبسوه من اولائك الاقوام من المفردات هو « عربي النجار » « ونحن نضرب لك مثلاً واحداً تقيس عليه ما جاء من هذا القبيل »

« وبين ادباء المائة السادسة للهجرة رجل عربي محض الدم . هو ابو القاسم ابن بشكوال . . . كان من علماء الاندلس الكبار ، وله التآليف الجليلة المفيدة . . . ولم اجد من بحث عن اصل هذه الكلمة . والذي عندي ان اللفظة بهذه الصورة اسبانية ، اندلسية ، اعجمية . « وهي تصحيف الفصحي » (احفظ هذا ايها القارئ) وبين الاسمين فرق في اللفظ لا يمكن ان ينكر . اما كيف انه صار «الفصحي بشكوال » فنقول : ان الافرنج نقلوا الكلمة الى لسانهم بعدة صور ، منها Pascua و Pascha . فنقلت الفاء العربية الى حرف p ، والصاد

الى x ، والخاء الى c او ch . ولما نسبوا الى الفصح الفرنجية قالوا Paschalis ، والاسبانيون قالوا Pascua . ولما كان الاسبانيون والعرب الاندلسيون في العصور الوسطى يلفظون بعض الاحيان السين شيناً . صارت « الفصحي بشكوال » وهو امر في منتهى الغرابة ، لعدم وجود ادنى مجانسة بين الكلمتين . ومع ذلك لا يمكن لاي كان ان ينكر هذه الحقيقة لوضوحها . هذا ولم نرَ احداً صرّح بهذا الاصل ، سواء كان من ابناء لغتنا او من ابناء الغرب .

« والنصارى يسمّون « بشكوال » او ان شئت فقل « فصحي » من يولد من ابنائهم في زمن الفصح . وهكذا اشتهر عندنا كثير من الائمة باسم « بشكوال » اي « الفصحي » منهم القديس بشكوال الاول البابا المتوفى في سنة ٨٢٤م (١١٠٩هـ) (كذا) والقديس بشكوال يلون المولود سنة ١٥٩٠م (٩٩٤٧هـ) والمتوفى ١٥٩٢م(١٠٠١هـ) فبشكوال اسم نصراني بحت ، وابن بشكوال مسلم عربي بحت . فكيف تسمّى مسلم باسم مسيحي صرف ؟ نظن ان الاسم شاع في الاندلس شيوعاً عظيماً ، فسمّه المسلمون وسمّوا به اولادهم من غير ان ينظروا الى معناه . ومثل هذه التسمية كثير . واذا علمت ان نظائر هذه التغييرات جمة لا تحصى ورد مثلها قبل الاسلام وبعده تحققت ان اسرار اللغات من ادقّ الامور بحثاً واستقصاء . » (انتهى) (١

٢

دحض واثبات

ان المجلة البغدادية لاشهر من نار على علم باسلوبٍ خاص بها في ميدان الجدال . ونحن نقرّ بعجزنا ، من حيث الطبع والذوق والمقام ، عن منازلتها في مثل هذا المضمار . ولذا ، فبدون تأثر بفعل الهوى ، لا بل ببرودة انكليزية ، نجتزئ بنقد القول ودحضه ، غاضين النظر عن القائل ؛ لان الحقيقة العلمية ضالتنا ليس الّا ، فنقول :

ان ما وقفت عليه ، ايها القارئ اللبيب ، من الحقائق المتعدّدة ، في القسم الاول من هذا المقال ، لكافٍ لان يعلمك ان اغلب ما تضمنته هذه الفقرة المقتضبة من المجلة المذكورة لقائم على جرف هارٍ . وها نحن اولاء نزيدك اثباتاً :

١ً — نسلّم باحتمالية تسمية رجل مسلم باسم نصراني ، او رجل عربي باسم اعجمي ، والعكس بالعكس . فهذا جارٍ في عصرنا كما قد جرى في كل

(١ « مجلة لغة العرب » جزء ٨ سنة ٧ ص ٦٠١ و ٦٠٢

العصور ، وعند كل الامم . « فقد سمّى بعض النصارى ، في جزيرة العرب باسماء وثنية ، وذي معناها الاصلي ، كعبد المدان ، ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران . وعبد القيس ، ومنهم بنو عبد القيس النصارى . والسريان والرومانيون واليونانيون النصارى جروا على هذا المجرى ، فسموا : مركوريوس ، وباخوس ، وديونوسيوس . ولكن هذه الاسماء كانت قد فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية . وقد استعمل بعض الاسماء مترجمةً عن لغاتها الاصلية ، منها بحيرة وصخر ، من السريانية Bhira و Kêpa ، وبعيث من اليونانية Anastas . وتُرجم من اللاتينية : ثابت : Constans ؛ خالدة : Perpetua ؛ سَعد : Felix ؛ صالح : Pius .»[1]

ولم يقل احد بان هذه الاسماء ، وان اخذها العرب عن الاجانب ، فهي « عربية النجار » كما ادّعى الرأي البغدادي بان بشكوال ، وان أُخذ عن الاسبانية ، فهو « عربي النجار » ، وان من ذلك امثالًا كثيرة .

٢ً — على فرض ان « بشكوال » مصحّفة عن « فصحي » فمتى جرى ذلك وكيف ؟ يجب ان يكون الاسبانيون المسيحيون قد تلقوها عن العرب . والحال ان العرب لم يبدخلوا الاندلس الّا بعد العقد الاول من القرن الثامن ؛ ولم يتوغلوا في البلاد الى فرنسة ، الا نحو سنة ٧٣٢ ، حين كسرهم وشتت شملهم شارل مارتل ؛ ولم يزهُ لهم الملك الّا بعد تسلُّط الامويّين وانشائهم هناك الخلافة التي زالت من يدهم في الشرق ، اي منذ حكم عبد الرحمان الاول ، في غضون القسم الثاني من القرن الثامن[2] . على اننا نجد اسم « بشكوال » او بالاحرى Paschalis شائعاً في الغرب منذ اواسط القرن السابع ؛ لان اسم مدّعي البابوية Paschalis مات سنة ٦٩٤م كما علمت مما سبق في القسم الاول . فلا بد انه ولد قبل نصف القرن المذكور ؛ ولا ريب ايضاً انه لم يكن اول

---

١) شيخو : النصرانية وآدابها الخ ، ص ٢٢٨

٢) Huart : *Hist. des Arabes, T. II, chap. XXIII*

من تسمّى بهذا الاسم. فاذن لم يدخل « اسم بشكوال — محرّفاً عن « فصحي » ام غير محرف — الى الاندلس او غيرها من البلاد الاوربية ، على «يد العرب». بل كان مستعملاً فيها قبل حلولهم بزمن طويل . هذا فضلاً عما هناك من القرابة ؛ اذ ان اسم بشكوال ، او اصله المزعوم ، « فصحي » نصراني ، والعرب الذين فتحوا الاندلس كانوا مسلمين ، وفي عصر تعصبهم وكرههم للنصرانية . فمن اين شاع بينهم هذا الاسم الممقوت في نظرهم ؟

٣ً — ان الاسماء تنقل من لغة الى لغة ، او من قوم الى قوم ، اما بلفظها الاصلي ، مع مراعاة التحريف اذا اقتضى الحال ، واما مترجمةً . وينبغي ان تكون مستعملة في اللغة المنقولة عنها كاسماء علم . فاننا اليوم نسمي كثيراً باسماء اجنبية ، لكننا لا نتخذها بين اسماء الجنس في اللغة العربية ، بل بين اسماء العَلَم ، فلا نسمي مثلاً boiteux او long او petit ، كانها اسماء فرنسية عَلَمية ؛ لانها لا تعدّ في اللغة المذكورة بين الاعلام الشخصية . لكن تدعو : شارل وفرديناند والبير ، لانها اسماء اعلام في لسانها الأصلي . القصارى ، اننا ننقل ، عادةً ، اعلاماً ، فنستعملها اعلاماً . فهل يا ترى كلمة « فصحي » التي يدعي الرأي البغدادي ان «بشكوال » محرّف عنها هي «اسم عربي النجار » وهل هي اسم علم ؟

ان السعيد الذكر الاب شيخو العلّامة الجريّ ، دون سواه ، ان يعدّ حجة بين ارباب العلم الشرقيين في هذا العصر ، في ما يخص تاريخ العرب قبل الاسلام ، ولاسيما النصارى منهم : ومن جملة الادلة على ذلك كتابه النفيس الموسوم « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » وقد عقد فيه فصلاً ضافياً « في الاعلام النصرانية » فطالعناه بامعان ، فلم نجد فيه احداً قد تسمى « فصحاً او فصحياً .»[1] وحضرة العلّامة الاب لامنس ، مدير هذه المجلة الغراء هو من المبرّزين في ميدان الاستشراق والاستعراب ، لتحقيقه ووقوفه حقّ الوقوف على

---

٨) شيخو : المؤلف السابق ، القسم الثاني ، الفصل الثالث ، ص ٢٢٧ الى ٢٥٤

احوال العرب قبل الاسلام وبعده ؛ فنرجو منه ان يتفضل فيقول لنا هل وقع ، في الاسفار الجمة المطبوعة والمخطوطة التي طالعها ونقّب فيها ، طيلة حياته المباركة ، على احد من العرب تسمى «فصحاً او فصحيًا» ؟ ونسأل العالمين على آداب السريان وتاريخهم واحوال اليهود وآثارهم ، هل يا ترى وجدوا احداً بينهم ، قديماً ام حديثاً ، قد دعي « Peshi او Peshâya او Pesah او Peshi » ؟

٤ ــ يزعم الرأي الزوراني « ان الافرنج نقلوا الكلمة « اي الفصحي » العربية الى لسانهم بعدّة صور ، منها Pascha و Pascua . فنقلت الفاء العربية الى p ، والصاد الى s ، والحاء الى c او ch . ولما نسبوا الى الفصح قالوا Paschalis ، والاسبانيون Pascual الخ » فنقول : ان هذا الرأي لا يدقق في تسمية الامم ولغاتهم . فان الغربيين لم يسمهم « فرنجاً » الا العرب ؛ ولم يجرِ ذلك الا منذ الحروب الصليبية ، ومن باب اطلاق اسم الجزء ، اي الفرنسيين ، على الكلّ . واما قبل ذلك فكانوا معروفين بالرومانيين او اللاتين ثم ان كلمة Pascha لاتينية و Pascua اسبانية . و Pascha هذه قد شرع في استعمالها قروناً عديدة قبل الاسبانية ، اي منذ القرن الثاني ، كما علمت تمّا تقدم ؛ والاسبانية لم تُدوّن الّا نحو اواسط القرن الثاني عشر .

٥ ــ يقول راي دار السلام ان « النصارى يسمون « بشكوال » وان شئت قل « فصحي » . فنجيب ان كلمة « النصارى » اسم شامل مسيحيّي العالم قاطبةً . لكن النصارى ، من جهة البلاد ، يقسمون الى قسمين كبيرين ، اي شرقيين وغربيين . فنحن نسلم ، كما ثبت ، ان النصارى الغربيين كانوا ولا يزالون يسمون بسكاليس او بسكال او « بشكوال » لكن النصارى الشرقيين لم يستعملوا « فصحي » ، لا اليوم ولا في القديم ، كاسم علم . واما « بسكال » فلم يدرج بينهم الّا في هذا العصر ، اي منذ انتشار المرسلين اللاتين في الشرق . واما في العصور الخالية ، فلا ذكر له بينهم ، على ما نظنّ .

٦ ــ يتساءل راي دار الخلافة « فمن كان يظن اسم ابن بشكوال «معناه» « ابن الفصحي » . فنقول : احسن هذا الرأي بقوله «معناه» اي ترجمته في العربية ؛

فهذا مفهوم . واما ان « بشكوال » تصحيف « فصحي » فهو غير مفهوم ولا معقول ولا مقبول . اذ الحقيقة المفرزة بالادلة الالسنية والتاريخية ، هي ان «بشكوال» اسم علم اسباني ، بموجب لفظه هذا ، وهو في الفرنسية Pascal ، وفي الايطالية Pascuale . وهذه الصورة اقرب الى الاصل اللاتيني Paschalis ، واللاتيني مضارع للصيغة اليونانية Paskhalios . فكل هذه الالفاظ نسبة الى Pascha . واما Pascha اللاتينية — وكذا القول عن πασχα اليونانية — فهي عين اللفظة العبرية Pesah المنقولة الى اليونانية واللاتينية . ولم يقتض لذلك سوى قلب الحاء او الخاء الى كاف ؛ اذ ليس هناك فاء لتقلب p ولا صاد لتقلب s ، لعدم وجود لهما في الكلمة العبرية خلافاً للعربية التي استمدت لفظها من السريانية ، او لخلوها من حرف الپاء ، استعاضت عنها بالفاء .

فانت ترى من هذا كله ان « العربية ليست بصاحبة الفضل على بقية اللغات » « اقل ما يكون في هذه المادة » ، وان الفضل كل الفضل « للعبرية » التي منها نقلت كلمة Pesah الى سائر هذه الالسن .

فالعرب اذن اخذوا ، في العصور الوسطى ، اسم بشكوال ، عن الاندلسيين الاجانب ؛ الا انهم ، بعملهم هذا ، لم يستردوا بضاعة خاصة بهم » لان Pascha ، ذات الصورة اللاتينية التي اضحت Pascua في الاسبانية ، وصيغت منها النسبة Pascual او بشكوال ، ليست « بعربية النجار » بل « عبرية محضاً » وقد تَيَرْنَنَت ، فتحبّشت ، وتسرّينت ، ثم تعرّبت في المشرق . واما في المغرب ؛ فَتَلَيْتنت ، فتأيطلت ، فتأسبنت ، فتفرْنَسَت ، فتأنكلزت ، الى آخر ما تشاء .

« وعلى هذا المثل يقس كل ما جاء من هذا القبيل » في مقالة « فضل العربية على سائر اللغات » من مثل اصل : ايليوس من « هَيل وحَيل وعَيل وأيل » ، والسنار من « سين وماه » ، والحاسن من « حيّ سين » وغيرها . ومن هنا تستدلّ على قيمة مثل هذه الآراء التي تظهر ، الحين بعد الحين ، في بغدادنا ؛ وتتحقق ان من شأن « الالسنية » الاستناد الى براهين حسية منطقية ، تاريخية ، ولا الى ما تولده المخيلات المخصبات .

واما فضل العربية — لا على سائر اللغات او بعضها ، بل على ذاتها — فهو نلشئ ، ليس من ادّعاء بعض الثُلاة جزافاً بان كثيراً من الكلم الآرية « عربي النجار » وخاطهم بين الالسن الساميّة والعربية لان كل ما يقال عن العربية فهو ساميّ ، ولا كل ما ينسب الى بعض اللغات السامية هو عربي — بل ان هذا الفضل ناجم عن خصائص اللغة العدنانية عينها ، وهي كثيرة . منها طريقة الاشتقاق التي تعادلها اي مزيّة من مزايا غيرها من اللغات ؛ وكذا القول في اوزانها القياسيّة المنطقية ، ووفرة التراكيب المختلفة والمجاز ، وما شاكل ذلك . مما جعلها آلة مرنة بيد اصحابها في جميع اطوارها ؛ وهو ما يضمن لها اليوم الانتعاش والنهوض ، بعد عصور الخمول والقعود . وهو الذي نؤمله بهمة كبار العلماء الباذلين جهدهم في هذا السبيل ، بروح عصري ، وفكر عصري ، واسلوب عصري ؛ ولا من جمود المحافظين المتعصبين المتلهين بعدُ في هذا العصر ، عصر التقدّم والرقي في كل شيء ، بخزعبلات طائفة من النحويين القدماء وتفاهاتهم ، من مثل القول ، حتى في ايامنا هذه ، بانه يجوز في العربية : « قام زيدٌ ، قام زيداً ، قام زيدٍ . »

اجل ! كل شيء جائز عند من لا ذوق لهم ؛ ولا عجب ! لا عجب ! فان الذوق هبة من الباري لا ينعم بها الا على من يشاء !!!

كتب غزالة الخطية (تابع)

١٦ باب الإعراب عن لغة الأعراب. قاموس للمطران جرمانوس فرحات. كتبه بخطّ عربيّ جميل القس ارسانيوس التيجاويّ اللبناني، سنة ١٨٢٣.

١٧ نسختان من كتاب الدرّ المنتخب للقديس يوحنا فم الذهب. ترجمه عن اليونانية السيّد البطريرك اثناسيوس «الدبّاس» الملكي الانطاكي، وهذّب عبارته القس جبرائيل فرحات الحلبي الماروني وصدّره بمقدمة بليغة العبارة. النسخة الاولى مكتوبة سنة ١٧١٧ بالخط الكرشوني. والثانية تقع في ٣٨٧ صفحة كبيرة، خطّها بحرف عربيّ مشرق الخوري بطرس الدويهي، في ٥ شباط ١٧٨٣.

١٨ خاص علم التيّة «ألّفه الاب العالم العامل هرمان يوزنبون اليسوعي. يشتمل على سبع مقالات تتجزّأ الى ابواب وفصول واجزاء وفروع. تحتوي على مقاصد مختلفة ومسايل متنوعة لارشاد الطالبين وانارة الباب المهدين والمهتدين...» مجلّد ضخم يقع في ٦١٤ صفحة. جاء في آخره ما يلي:

«انتهى على يد كاتبه الحقير القس عبد المسيح بن بطرس الماروني بايام سيدنا المطران جرمانوس (فرحات) مطران حلب المكرّم في ٧ من تشرين الثاني سنة ١٧٢٦ مسيحية في حلب المحميّة» – «وقف مؤبد برسم الرهبان اللبنانيين».

وعُلّقت في آخر هذا الكتاب القضايا التي حرمتها الاحبار الرومانيون

---

١) راجع القسمين الاول والثاني من هذا المقال في «مشرق» السنة الماضية (٢٧[١٩٢٩] ٥٠٤ و٦٠٤)

الكسندروس السابع ، واينوشنسيوس الحادي عشر ، والكسندروس الثامن ، بحضرة المجمع العام المقدّس الملتئم ضد الكفر والبدع الاراتيقية.

١٩ المجمع اللبناني أبان في مقدمته ناسخه الاوديا كون يوسف مارون الطرابلسي ان مطارنة الطائفة المارونية أمروه بنسخه.

٢٠ كتاب الكمال المسيحي . جاء في آخره :

« تم الكتاب بعناية قدس سيدنا ماري جرمانوس صقر الحلبي . . . مطران دير قلب يسوع (بكركي) . . . تحريرًا في ١١ شباط سنة ١٧٥٨»

٢١ كتاب مقطوف الاسرار النصرانية للمطران يوحنا الحصروني الدومنيكاني الماروني[1] — ٢٢ مقتطفات المجامع الرومانية — ٢٣ البرهان اليقين على فساد المشاقين . تمّ نسخه سنة ١٧٨٤.

٢٤ نسختان من كتاب مدخل ترجمة المجامع المقدسة للراهب حنّا الكرملتاني طريقةً ، والفرنساوي مولدًا . جاء في احداها :

« هذا الكتاب من مال المرحوم المتواجا جرجس بن سركيس المكنّى بابن البليط وقد صار وقفًا مؤبدًا برسم الرهبان اللبنانيين بتاريخ سنة ١٧٦٢ »

٢٥ « سلّم الفضائل العالية الشريفة ودرج المصاعد السامية المنيفة تأليف ابينا الجليل في القديسين انبا يوحنا رئيس طور سينا . نسخه بالحرف العربي في دير طاميش القس ماتيًا فضول الزوقيّ الراهب اللبناني سنة ١٧٥١.» مجلّد ضخم.

٢٦ ديوان المطران جرمانوس فرحات . خط عربي قديم ، وقفه على الرهبانية اللبنانية مخايل الحلبي الارمنيّ في عهد الرئيس العام القس ترما اللبودي . وقد كتب المؤلف القس جبرائيل فرحات بعض صفحات منه في اوله.

٢٧ رتبة لبس المبتدئ في الرهبانية اللبنانية.

٢٨ حياة بعض الشهداء والقديسين معيّنة قراءة ترجمة كلّ منهم لكل يوم من شهور تموز وآب وايلول . خط عربي كنائي بديع . ليس من ذكر فيه لاسم مؤلفه او جامعه وقد اتلف الحتّ بعض ورقه . جاء في آخره :

« كان الفراغ من نساخة هذا الكتاب يوم ٢٥ ايلول سنة ١٧٠٩ مسيحية قبال سنة

---

١) منه نسخة عند المؤرخ يوسف عمانوئيل قرطبا (المشرق ٢٦[١٩٢٦] : ٧٤٣) والمخطوطات العربية ، ص ٩١

١٧٣١ هجرية على يد العبد الحقير القس اغناطيوس سلهب في دير المبارك سيدة لويزة وهو من الرهبان الملكيّة اللبنانية. . .»

٢٩ منطق القس واكيم الراهب الباسيلي.

٣٠ كتاب «الكلام في السندروس[1] المركب المقول له عموما سندروس كينازي. قد كُتب جواباً من البادري فيلبُوس يوناني من رفقة يسوع[2] الى الاباتي سيستيانوس كوالتياري الكلي الضيا، كولّر مار يعقوب والمفتاح الذهبي المختص بجلالة فيلبوس الخامس سلطان اسبانية[3] الكاثوليكية. وتقدّم في الطبع من البادري المذكور للكلي الشرف والنبالة المركيز دي ابرنتس الموجود في رومية الجي[4] من قبل جلالة يوحنا الخامس سلطان البرتوغال[5]»

واننا نثبت هنا تقدمة الكتاب للمركيز دي ابرنتس المذكور بنصها الواحد:

«ايها السيد الكلي الشرف والنبالة

«بعد ان خضعت ممالك كثيرة من الهند الغربي والشرقي لاكليل سلطان البرتوغال من قبَل اعماله الشريفة المنتصرة. فاي ثمر كان الذي يُجمع منها ولو انه جزئيًا قد اعتاد ان يصير شكرًا لمن اعتنى في تلك تلك الممالك. اذ انه يتجدّد بذلك ذكر تلك الانتصارات التي ضُفرت اكاليل لشهامته. ولاجل هذا السبب انا مقتنع ان كتابي . . . . (هنا كلمات غير مقروءة) بما ان المادّة المعروضة فيه كان ابتداعها من تلك الارض التي بعد ان سخا سيدكم الملوكي ادخل بها الايمان الكاثوليكي. ولا يزال يرسل فطنة ويقيّضهم لاجل فلاحته وتعاهده. ثمّ ولكي يقدر هذا الكتاب ان يبقظ (يوقظ) ذكر الانتصارات التي حصلت في جهات مثل هذه يد الاوائل من عيلتكم الكلية الشرف الذين اعتباراتهم محفوظة في اقوالكم الشريف مع حالية فضيلتكم المخصوصية التامة التي بها عرفتم ان تصونوا بل ان تُنموا ايضًا لاولئك بما شرفهم وان تربحوا لذاتكم حبًا مستمرًا وتنالوا لدى الجميع الاعتبار اللازم بسبب اخلاقكم الحسنة التي تظهروها. فهوذا اذًا بايدي حضرتكم عملي وكتابي هذا الصغير الذي اذا تنازل شرفكم ان يُظهر له الرضى كما هو امر خاص بالنفوس ذات السيادة حتى

---

١) جاء في اقرب الموارد: السندروس صمغ شجر او معدن شبيه بالكهرباء يُجلب من نواحي ارمينية وهو من الادوية الجليلة . . . دخيلة

٢) من الرهبانية اليسوعية

٣) هو حفيد الملك لويس الرابع عشر. تبوأ عرش اسبانية (١٧٠٠ - ١٧٤٦)

٤) كلمة تركيّة معناها: سفير او قنصل ٥) ملك على البرتوغال (١٧٠٦-١٧٥٠)

في الامور القليلة الاعتبار فيجعل لي تنزية عظيمة ليست باقلّ من تنزية بستاني يتناسى اعراقه واتعابه التي حاناها في فلاحة . . . . (هنا كلمات غير مقروءة) واثمارها لسيد امير ويرى انه تناولها برضا وبشاشة باكثر من ذلك لكون رضا شرفكم حماية للعمل الذي يزيد اعتباره عند النظر انه مزيناً في جبهته باسم حضرتكم الموقّر الذي اسرُّ به باحترام مختضع مقرًا.

اني خادم كلي الاتضاع والالتزام

فيلبوس يونانني من رفقة

يسوع

بعد هذه المقدمة يأتي فهرس الكتاب ويحتوي ٢٢ فصلًا ثم جواب البادري فيلبُّوس يونانني المؤلف للاباتي سيستيانوس كوالتياي وهذا نص الجواب:

« ايها السيد الكلي الشرف

« على مطلوب سيادتكم الكلية الشرف نظرًا الى السندروس المدعو كينازي انا اجيب طاعة لسيادتكم : ان هذه المادة قد اجتهدتُ من زمانٍ مديد ان ارضي واكفي شوقي وفحصي وفتشت لاعرف كيفية وجرم السندروس الذي يُستعمل في مملكة الكينا والجيونه ونوع استعماله بالعمل لكي استعمله انا . اذ اني قد مارست جملة مركبات مشروحة وموضحة من معلّمين مختلفين في كتبهم المطبوعة وما قدرت ولا بواحدٍ منها ان انال تلك الملاحظة والكيفية التي تبان في السندروس الكينازي ولان سيادتكم الكلية الشرف اردتم ان تشرحوا عنه ايضًا بين اقوالكم الشريفة الفاضلة وما قدرتم ان تنالوا كمال معرفته فتقدروا ان تفتحوا دلايله من الاعلام التي ارسلها لسيادتكم التي ما قيلت لي من محبي المقيمين في تلك المملكة المقدسة فقط بل وتلمتها من الاعمال ايضًا وكلما قدرت ان اجمعه في سنين كثيرة نظرًا لهذه المادة ولكي تخدم سيادتكم احسن خدمة قد جزّأتها الى فصول لاجل تجنّب اختلاط كل ما هو لازم لشرحها . الفصول التي اذا تأملتها سيادتكم تأملًا حاذقًا تقدر ان تنتج وتعرف ما يجب ان تستعمله في الآتي من غير ان تضيع الزمان الذي هو الشيء الاثمن الذي عُطي لتاجر الله . »

وقد ابان مستخرج هذا الكتاب من اللغة الايطالية الى اللغة العربية ان فيه عدّة اسماء صموغ وادهان وغيرها يقتضي لها شرح وايضاح . لذلك قد خصّص المعرّب مكاناً لشرحها في آخر هذا الكتاب ، ورتبها تبعاً لحروف الابجدية . ثم ان بعض هذه الاسماء موضوع بالثلثانية باحرف عربية لعدم معرفة اسمه الحقيقي بالعربي ، ومن شرحه ربما تقرب معرفته .

وقد رأينا ان ننقل مثالًا عن هذا الكتاب :

الفصل الخامس

في سندروسات لونه الذهب

« اننا قد وضعنا سندروسات مختلفة مركبة جميعها من صموغات مذابة بالعرق . فلا يبعد عن القصد ان نتكلم الآن عن البعض المفهومة بالنوع ذاته التي بدهن الاواني المفضضة بها تصير الاواني بلون شبيه لون الذهب . وهذا السندروس يتركب بانواع كثيرة وكل واحد يقدر ان يختار النوع الذي يرضيه اكثر اذ ان لون هذه الانواع يمتاز قليلاً عن بعضه . كما ان الذهب المدقوق ورق ام المسحوق كالنبار يوجد فيه مرات عديدة امتياز اللون الذي يوجد ايضاً في المعاملات . فعمل هذا السندروس اذاً هو نوعٌ واحد وهو التابع .

يؤخذ ربع من الجاوري وربع مستكي والنصف صمغ الدفران ويُسحق كل جزء بحاله ناعماً . فتوضع اولاً المستكي على النار مع عرق مكرَّر خالص ولما يذوب يوضع صمغ الدفران وبعده الجاوري فاذا ذابت المواد المذكورة يُضاف لها الثمن (اي نصف الربع) دهن الابته وصبر سقطري مسحوق ناعماً مقدار ما تسع عشرة جوزة . وحين يبان انه انصبغ هذا المركَّب يُرفع حينئذٍ عن النار وتُصبغ فيه الاشغال المفضَّضة . والبعض يستعملون في هذا التركيب الجاوري والصبر السقطري مسحوقين ناعماً وقليلاً من الزعفران ينحلّ الجميع ويذوب في العرق . وبهذا السندروس الاول ام الثاني يدهنون على مرات عديدة الاشغال الفضية فيترك الوجه الاول حتى ينشف قبل ان يندهن الوجه الثاني وهكذا الثالث والرابع الى ان يأتي اللون شبيهاً بالذهب .

٢ قد علّمني شخص نمساوي كيماوي مجرّب لي تركيباً آخر جرّبه بذاته وطلع حسن جداً وعمله بالنوع الذي اصفه الآن . اي تؤخذ الكهربا الصفرا درهم ١٨ وتتحمص جيداً على النار في مقلاية نحاس وبعده توضع في روح الترمنتينا وتُترك يومين ام ثلاثة ايام في قنينة قزاز على رمل سخن تحته نار خفيفة وتنخض القنينة على كم مرة فينصبغ روح الترمنتينا بلون ذهب حسن جداً ويدهنه على الفضة ينشف بزمن وجيز .

٣ والتركيب التابع هو حسن ايضاً وهو صمغ لك درهم ٩ صبر سقطري

مسحوق درهم ٢ زيت الترمنتينا درهم ٧٢. سكر قالب مسحوق اوقيتين شامي. اي درهم ١٠٠ يتدوبون ويلتحمون معاً ثمَّ يتصفون في منخل رفيع ويحفظون للاستعمال.

٤ً اما انا فاني اعتبر التركيب الآتي اكثر من كل التراكيب الذي استعملته مرات عديدة بذاتي وكان يطلع حسناً دائماً وان كنتُ في تركيبه ما لاحظت قطّ ولا مسكتُ عيار الاجزاء التي تركبه . عارف في كل التراكيب ان الاختبار والممارسة هي المعلمة العامة . وتعلم حسناً زيادة ونقص تلك الاشياء المطلوبة للتركيب الحسن . فاذن بعد ان ذوّبت صمغ اللك في العرق وضعت في الوعاء وَرْساً مسحوقاً ناعماً (وهو شلش يصبغ بلون اصفر) واضفت اليه قليلاً من زعفران يابس مسحوق ودم التنين منسوق (وهو صمغ حسبما يُخبر المعلم اورمُيا في كتابه عن الاشياء النادرة في الفصل ٣٤ في ورقة ٢٢٩ وقد دُعي ابتداً زنجفر ديوسقوريدس الطبيب وهو مادّة سائلة تقطر من شجر تُدعى تنين تنبت في حقول مدينة قرطاجنة في بلاد البرو كما يخبر المعلم ميناردا في الفصل ٣٤ فيخرج من شجرة كبيرة جدًا لمَّا يشرحوا قشرها اللطيف . فالحقيقي منه الذي يُجلب الى بلاد اوربا تلتصق به قشور الشجر وله لون الدم الجامد . وقد تكلم عنه المعلم كلوسيا في تاريخ اخبار الكتابات النادر في الكتاب الاول والفصل الاول) فهذا التركيب اذًا المذوّب جيدًا والمختلط الى بعضه حسناً على سخونة معتدلة يُترك زماناً ما ليرقد العَكِر اسفل ويُستعمل السندروس الرايق الذي يطوف على العَكِر ام انه يتصفّى في ورقة شكل قرن ان اردته يكون اوفر صفاوة ويُستعمل الدهن فيه في حرارة الشمس وهو فاتر . وتُدهن فيه الفضة سَجاً بالقلم بخفّة ورشاقة من غير رجوع بالقلم ويُترك اول وجه في الشمس حتى ينشف . فاذا نشف بعد كم ساعة يُدهن الوجه الثاني ويُترك لينشف كاول وجه . وهكذا يصير على كم مرة الى ان يأتي اللون شبيه لون الذهب . وان كان لون السندروس لم يأتِ حسناً يمكن ان يُزاد عليه إما زعفران ام دم التنين الى ان يحصل على اللون المقصود .

في بلاد الانكليز وبلاد فرنسا وفي اماكن أُخر يُستعمل سندروس خاصةً

لساعات الدواليب اذا غُطي على الفضة يجعلها ان تُبيان ذهباً واذا غُطي على النحاس الاصفر يجعل لونه شريفاً جداً . وتركيبه على النوع التابع اي : خذ من اللكّ درهم ١٨ ومن الكهربا الصفرا درهم ١٨ ومن الفوماغوما درهم ١٨ ومن دم التنين ثقل اربعين حبة. قسح . زعفران نصف درهم . عرق مكرّر حادق درهم ١١٨ تُسحق الاجزاء جميعها سحقاً ناعماً وتوضع مع العرق في وعاء قزاز وينسدّ فمه . وعلى حرارة النار ام الشمس ينخضّ ويتحرّك الوعاء متواترًا وبعد ان تذوب الاجزاء يتصفّى في قماش حرير فتيح . ولما تريد تستعمله يجب ان تُسخّن الشيء ان كان نحاس اصفر ام فضة وتدهنه فيبان ذهباً.

ان كافة هذه السندروسات التي ذكرتها الى الآن تُستعمل من صناع كثيرين ومصورين وكوللييه حسب ميل كلّ منهم وكلها تمرُّ تحت اسم السندروس الكينازي . واما كم يكون [كلمة غير مقروءة] كل واحد منهم فيُعرف وينتج من تحبير البادري مرتيني الذي هو في الفصل الاول من هذا الكتاب المختصر . ولاجل ذلك انا اتبع الكلام عن السندروس الكينازي الحقيقي.

ولكن قبل الكلام فيه لم يبعد عن المقصود التحذير هنا . انه اذا كان لازماً استعمال العرق المكرر في السندروسات السابق ذكرها فيجب ان يكون هذا العرق خالصاً اي من غير اجزاء رطبة باردة لذلك هو جيد ان يتنقّى بعد الاستقطار وذلك يصير بوضع شقفة ملح طرطير داخل العرق بنوع انه لا يصل الملح ويدقر اسفل الوعاء . فهذا الملح يجذب اليه كل الرطوبة المائية وينفصلها من العرق الذي يلبث شايفاً على الوجه. وبعد صيرورة هذا الانفصال يتصفّى العرق في قمع قزاز في وعاء آخر وحين بيان الملح قارب الخروج مع الرطوبة ينسدّ القمع في عود يكون في رأسه قطنة حتى لا يتزل الملح مع العرق والملح اذا تنشف ينفع لغير مرّات.»

ونقف عند هذا الحدّ في الكلام عن هذا الكتاب الكيماوي الخطي الذي قرض الفثّ معظم ورقه ، وكادت مادّة الحبر ان تتلف سطوره فلا تُقرأ إلّا بصعوبة . وهذه هي النسخة الاصلية المكتوبة بقلم المترجم نفسه وقد سقط من اواخرها بعض ورقات

(لها بقية)

الزهرة التركيّة

في

الحديقة الرهبانية

ترجمة حياة بهيّة خالد المحدثة امس ، والاخت
ماري هيلانة اليوم ، احدى راهبات دير الزيارة ،
في ذوق مكايل . تقلا عن لسانها ، وهي في الدور
الاول من حياتها العالمية ، وعن لسان اهل الدير وهي
في الدور الثاني من حياتها الرهبانية.

بقلم حضرة المنوري يوسف العشيّي المرسل البطريركي

١

دير سيدة البشارة

ساعدني الحظّ ان زرتُ دير سيّدة البشارة في ذوق مكايل الخاص بالاسرة الخازنية . فرأيتُ في هذا الدير ما يطيب للسمع ذكره وما يجلو في الافواه شكره ، من حسنات حسان ، ومآثر جليلة ، لم اشأ أن اغمض عنها دون أن انوّه بها اقرارًا بجميل مَن احسن ، وثناء على الأُلى خلفوا لنا اسماً يخبر بمديحهم[1] .

ان هذا الدير كان سابقاً دار الطيب الذكر والاثر المرحوم الشيخ بشاره جقال الخازن الذي عهد اليه الامير بشير الكبير الولاية على قسم من مقاطعة كسروان . تُوفّي في ذوق مكايل سنة ١٨٢٦ ، دون عقب ، بالعقد السادس من عمره ، ودُفن هناك.

كان بشارة المذكور جميل الخَلق ، طيّب الخُلق ، كريماً سخيًّا وقورًا صاحب رقعة وجاه ، تفرّع من دوحة سناء ، وتحدّر من سلالة كرام ، ولما علم الامير بشير الموما اليه بوفاته ارسل وفدًا من قبله وحجز تركته لذاته ورقم كل ما

---

١) ابن سيراخ ١٤

حوته داره من كلي وجزئي بلائحة ودرّكوا بها ارملته السيدة زيادة وشقيقته الآنسة بادوانية . وابقى الامير لهما ولاية الذوق وعينطورة.

اما ارملته وشقيقته فقد استدعتا من فورهما ابن عمهما الخوري يوسف شاس[1] واقامتاه وكيلاً عنهما ، وشرعتا واياه يلجأون الى الوسائط لاسترضاء الامير بترك دعواه ، مبينين له بطلان ما بلغه من امر الوَرَثة . الى ان اقنعوه اخيراً بان يأخذ من التُراث ١٧٠ الف قرش نقوداً ويترك الباقي للورثة . وبعد استرضاء الامير بالمبلغ المشار اليه ، وحصول كل من الوراث على نصيبه ، اتفقت زيادة ارملة الشيخ بشارة وشقيقته بادوانية على وقف ما اصابهما من تركة فقيدهما ، وعليه التمستا من غبطة البطريرك يوسف حبيش ليكرّس دارهما ديراً على اسم سيدة البشارة ، ويثبت صكّ وقفيتهما بكامل ما ورثاه من مورثهما من ثابت ومنتقل وبكل ما يختص بهما . فسرّ البطريرك بصيتهما هذا واثبت بسلطانه صكّ وقفيتهما في ١٦ تموز سنة ١٨٣٣ مفوضاً ولاية هذا الدير وتدبير شؤونه الى ابن عمهما المطران يوسف الخازن مطران دمشق الذي اتّفق واياهما على جعله ديراً محضاً تُقيم فيه راهبات يسرْنَ بموجب قانون رهبانية زيارة السيدة العذراء التي انشأها القديس فرنسيس دي سال[2] واستدعوا لهذه الغاية راهبتين من راهبات دير عينطورة الذوق لتأسيس فرع من جمعيتهما في الدير المشار اليه ، وهما مريم انطون الاشقر ، ومريم صابات البكرجية ، في

(١) هو الشيخ شاس بن راجي بن بولس الخازن من عجلتون ، ارتقى الى درجة الكهنوت في مدرسة عين ورقة . وفي ٦ نيسان سنة ١٨٣٠ رقاه البطريرك يوسف حبيش الى اسقفيّة دمشق ، فساس الابرشية بالدعة والحلم والمثل الصالح . ولما توفي البطريرك المذكور في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥ ، في كرسي الديمان ، اجتمع الاساقفة في دير سيّدة سيفوق ، وانتخبوه بطريركاً في ١٨ آب سنة ١٨٤٥ . أدار شؤون الطائفة بروح الرب والدعة . وغادر الحياة الدنيا الى لقاء ربه في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٩ في الديمان ، ودفن في ضريح سالفيه البطريرك يوحنا الحلو ، والبطريرك يوسف حبيش.

(٢) قد أولت هذه الجمعيّة الرهبانية الكنسية شرفاً اثيلاً بفضائل القديسة فرنسواز دي شنتال ، التي شاركت القديس فرنسيس دي سال في انشائها سنة ١٦١٠ ، وبفضائل عدد لا يحصى من العذارى اللواتي اتنظمن في سلك هذه الجمعية المقدسة ، وخصوصاً القديسة مرغريت ماري الاكرك تلميذة القلب الالهي وناشرة عبادته.

١٥ تموز سنة ١٨٣٦[1].

ولما كثر عدد الراهبات ، وتنظمت احوالهن ، وزالت كل الموانع التي كانت تحول دون القيام بما توجبه القوانين والرسوم الرهبانية بتدقيق ، باشرن بعقد المجامع لانتخاب رئيسة تدبّر امرهنّ.

فاول مجمع عقدنه كان في سنة ١٨٦٠ انتُخبت فيه الاخت حنة فرنسيسكا الخازن . وهكذا بالتتابع الى عقد انتخاب الرئيسة الحاضرة مرغريت شبل الخازن التي جُدّد انتخابها مرارًا باجماع الكلمة لما عُرفت به من الصفات الحسان ، والاخلاق الممدوحة ، والغيرة ، وحسن الادارة والتدبير. فلم تكن الثمانية والسبعون عاماً التي قضت معظمها في داخل جدران ديرها لتفتّ من عضدها في اتمام واجبات الحالة بما ليس بعدها من الدقة والغيرة والنشاط وقيامها بتدبير جميتها بحكمةٍ ودرايةٍ فائقتين.

وليس عجيباً اذا اضحت هذه الابنة الفاضلة موضوع اعجاب اخواتها الراهبات يحفظها قوانين الجمعية بتدقيق وبمارستها الامور الروحية بشوق ونشاط ، وهنّ

---

١) انشأ دير الزيارة بينطورة الذوق الاب انطون ، ورئيس رسالة الآباء اليسوعيين في سورية . فقد شرى محل الدير من الشيخ ابي شروان موسى بن طربيه الخازن بثمن قدره ١٩٠٠ قرش . دفع ثلثي المبلغ تمّا جمعه من الاحسان ومن الطالبات الدخول في الدير . والثلث الباقي من الثمن وهبه الشيخ المذكور للدير مراعاةً لابنته وشقيقته اللتين انضمّتا لعدد الطالبات ، كما في سجلّ الدير وصكّ الشراء المؤرخ في ٧ حزيران سنة ١٧٦٦ .

وبعد ان التأم عدد الطالبات كتب لهنّ الاب الموما اليه قانون راهبات الزيارة الذي ألّفهُ القديس فرنسيس سالس ، ليسرن بموجبه واستحاح الاذن من السيد البطريرك والاساقفة بان يكون مرشدهنّ احد الآباء اليسوعيين . فاجاز ذو النيطة واصحاب السيادة ذلك على شرط ان تبقى الراهبات على طقسهنّ الماروني . وهذه صورة صكّ الاجازة نقلًا عن سجل الدير المذكور :

« تقبل وتثبت جميع ما في باطن هذه الوثيقة اي بان يكون دير العابدات المذكورات تحت حكمنا وحكم خلفائنا دون سائر المطارنة والاساقفة وليكن مرشدوهن حضرة اولادنا الآباء اليسوعيين . وقد ارتضينا بان تكون العابدات تحت قانون مار فرنسيس دي سالّ حيث تحفظ عوائد وطقوس رتب كنيستنا المارونية صح . . البطريرك مسعان عواد . المطران جبرائيل عواد . المطران طوبيا الخازن . المطران جرمانوس . المطران عبدالله حيقوق . »

يرونها امامهنَّ عند الشروع في كل عمل روحي او خدمي رغماً عن ثقل الشيخوخة.

اما الفرض الذي يتوجب على الراهبة تلاوته فهو عينه الذي تتلوه راهبات الزيارة مترجماً عن اصله الفرنسي الى اللغة العربية.

اخصّ قوانين هذه الجمعية ان تقضي الطالبة سنة ابتداء. ثم تجدّد نذورها الثلاث : العفة والفقر والطاعة لمدة ثلاث سنوات . ثم تنذر مؤبداً . وان يكون عمرها من ١٥ سنة وصاعداً . ويمكن قبول الارملة بعمر ٤٠ او ٤٥ سنة اذا كانت ذات سمعة حسنة ومشهوداً لها بحسن سلوكها وتقواها . اما البنات اللواتي يرغبن اعتناق الحياة الرهبانية من الاسرة الخازنية في هذا الدير فيقبلن مجاناً . ومن اخص قوانينها ايضاً واهمها التحصن داخل الدير والخضوع لسلطة البطريرك دون غيره من الاساقفة.

اما من يتولّى الآن إدارة هذا الدير ويتدبر شؤونه الروحية والزمنية فهو سيادة الحبر النبيل المطران يوسف الخازن ، مطران عكا ، الذي جدَّد بناءه وجمله من عداد المباني الفخمة ، وانشأ بالقرب اليه معهداً للتعليم جميل البناء محكم الهندسة . انفق في تأسيسه المبالغ الكثيرة من ماله الخاص . وتلك خلة عرفناها بآل خازن الكرام[1] .

١) ومن عداد الاديرة التي انشأها آل خازن الكرام :

١ دير سيدة البزاز . أنشأه عاد بن صخر الخازن سنة ١٧٤٩ للعابدات . ودير مار الياس بلوني انشأه نمر ابن ابي نصيف نوفل الخازن سنة ١٧٦٦ . وفي هذه السنة عينها انشأ الشيخ عبد السلام بن عبد الملك الخازن دير مار موسى بلوني ايضاً . ودير مار انطونيوس بفاتا .انشأه المطران طوبيا الخازن ١٧٦٦ . ودير سيدة بقلوش انشأه الشيخ ميلان ابن البطريرك يوسف ضرغام الخازن سنة ١٧٨١ . فهذه الاديرة يتولى ادارتها اقارب الواقفين.

اما الاملاك والاديرة الموقوفة للاجانب فهي : دير مار انطونيوس حريصا للرهبان الفرنسيين وقف عمه الشيخ سنتر الخازن . ودير مار انطونيوس خشبو . ودير مار يوسف عينطورة الذوق . ومحل دير سيدة بزمار . ومحل دير الكرم . ومحل دير سيدة الناح . ومحل دير مار مخايل . ومحل سيدة البشارة في ذوق مكايل للروم الكاثوليك . ودير طاميش . ومحل دير عوكر . ومحل دير مار الياس انطلياس . وما عدا ما ذكرنا لهم اوقاف مدرسة عجلتون ، ومدرسة غزير في مزرعة كفرديان . ومدرسة غسطا . وانطش الروم الكاثوليك في ذوق مكايل . وكان لهذه الاسرة الكريمة على عهد ابي نوفل الخازن عدة اوقاف ومشاريع خيرية في جهات كسروان والبوشرية كان ينفق ريعها السنوي على

تحت سقف هذا الدير ، الشاهد الامين على فضائل هذه الزنابق الجميلة التي نقلتها يد العناية الالهية من حقل هذا العالم الشائك الى حديقة الحياة الرهبانية الشائقة ، تتضوع الروائح العطرة فتتناقلها ملائكة السماء كهدايا القلوب ، كعرفان الجميل ، لرب الجنود ولباري الوجود . . .

ومما لفت نظري في هذا الدير على الخصوص امر ابنة تركية الجنس ، مولودة الاستانة ، محمدية المذهب ، تركت في هذا الدير ، من طيب الاحدوثة وجمال السمعة ، وحسن الاثر ، ما تردده الالسنة بالاعجاب . ويملأ المسامع بالذكر الجميل فلم اكن املك على نفسي السكوت عن اعلان هذه البنفسجة العطرة التي نتت الينا بعرفها ودلت عليها بعطرها . وعن نشر ترجمتها بعالم المطبوعات لما في ترجمة حياتها من القدوة الحسنة والمثل الصالح والتعليم والتهذيب . وبيان فضل هذه الجمعية الرهبانية التي ما فتئت تقدم للدين وللانسانية من كنوزها ما تحمد في النقل انباؤه ، ويحسن في السماع خبره ، ويحلو في عالم الطبع نشره .

٢

مريم خانم المحمدية امس والاخت ماري شمعونة اليوم

١

سُئلت هذه الابنة عن اسمها ونسبتها ، ومولدها ووطنها ، وظروف اهتدائها الى الدين المسيحي ، وترهبها في دير الزيارة في اوائل تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، بحضرة مرشدها ورئيستها ولفيف الراهبات ، فاجابت بما يأتي :

اسمي بيته ابنة علي بك كجك مختار باشا . اسم والدتي اسما خانم ، كلاهما من الاستانة .

وُلدت في حي اشقودره سنة ١٨٦٧ . ورضعت الحليب من امرأة مسيحية . كان لي اربعة اخوة توفوا كلهم بداء الجدري في الاستانة . فاصبحت

بمذهبي الشام ، ما خلا ما بثه واسّسه من الكنائس وبذله في سبيل الانشاآت المفيدة كالمياتم والملاجئ والمدارس . . .

وحيدة لوالدي الذي كان يأنف المضارّة[1] ، وهي خلّة تمشت عليها اسرتنا من زمن مديد.

ولما توفيت والدتي كان عمري عشر سنوات تقريباً ، فلم يتزوّج والدي بعد وفاتها ، مع انه كان في منتصف عمره. ولهذا كنت موضوع آماله ومحبته.

اما ظروف اهتدائي الى الايمان المسيحي فمتعدّدة اقتصر على القليل منها :

تجلّت لي رؤيا وانا في السابعة من عمري اقدمها على علّاتها بكل سذاجة: رأيتُ ، وانا في بستاننا ، في ليلة مقمرة ، طفلاً جميلاً متشحاً بلباس ابيض في الجوّ ، وبالقرب منه مصباح متقدٌ . وكأني باشجار البستان انحنت للارض اكراماً له . فتقدمت من شجرة وقطفت من ثمرها ووضعته في حضني فانتفضت الشجرة انتفاضاً ، فخفتُ وصرخت . وللوقت سمعت صوتاً من السماء يقول لي تعالي اليَّ . ولما تراكض اهلي حواليَّ اخبرتهم بامر الشجرة ، ولم اقل لهم ما سمعته ، فقالوا لي : لا تخافي ! هذه ليلة القدر.

من صغر سني كنت اميل الى معاشرة البنات المسيحيات من جيراننا . واتفق ان سعى احد الكهنة المرسلين ببناء كنيسة بالقرب من حيّنا ، فقدّمت له ما تيسر لي توفيره ، دون معرفة والدي.

ولما بلغت العاشرة من عمري ، اتيت مع والدي الى بيروت ، اذ تعيّن مديراً للجمرك من قبل حكومة الاستانة. وبعد مدة عدنا الى الاستانة فمرضت والدتي ، وتوفيت في ريعان الصبا. فقفلت راجعة الى بيروت مع والدي وجدّتي ، وسكنّا في حي الراسقة . وعني والدي بتدريبي اللغة العربية ، فكان يرسلني كل يوم مع خادمة بيتنا الى مدرسة راهبات الناصرة . وكان يقوى في فكري اعتناق الدين المسيحي. ولما كاشفت الراهبات بذلك ، خفنَ واخطرنَ واعتذرنَ بان ليس برسمهنَّ قبولي عندهنَّ . فضاقت بي الحيلة لعلمي بان اهلي يكرهون الدين المسيحي ، فانهم سخروني يوماً اردّد في حجرتي على انفراد الصلوة الربية ، فانتهروني ولطموني على خدي وفمي ، وحذّروني من ترديد هذه الصلوة.

(١) تكثير النساء.

احتجنا الى كوّاية في بيتنا . فهدانا الجيران الى كواية من بنات راهبات المحبة تكوي امتعة كنيسة القصادة الرسولية فاستقدمناها . وتعلقت انا بها وكشفت لها امري ؛ فوعدتني بانها توصلني الى سيادة القاصد الرسولي لودوفيكوس بيافي المقيم في بيروت . فاتفقت معها على الذهاب لديه.

واستأذنت جدّتي طالبةً اليها بان تسمح لي بالذهاب مع الكواية للنزهة . فاذنتني ، وكان والدي في ذلك الوقت متغيباً عن البيت. فخرجت في ٢٥ من شهر كانون الاول سنة ١٨٨١ ، فلم نتمكن من مقابلة سيادة القاصد بسبب توارد المهنئين له بعيد الميلاد . ولم اردّ العودة الى البيت ، فاختبأت في دار الكواية . ولما استبطأني اهلي بثّوا المنادين في المدينة يفتشون عني . وسمعت باذني صوت المنادي ، وانا في بيت الكواية الذي كان قريباً من دار القصادة.

ثم اختبأت والكواية في محل آخر الى ان تيسر لي فاتيت الى هنا ، الى دير سيدة البشارة . فاهتمت اذ ذاك الرئيسة بامري كل الاهتمام . فتثقفت في الحقائق الدينيّة ، من اوائل سنة ١٨٨٢ الى الثامن من ايلول سنة ١٨٨٤ ، حيث نلت نعمة العماد المقدس من يد مرشد الراهبات المرحوم الخوري يعقوب حجيلي ، وكان عمري ١٥ سنة.

وفي العاشر من شهر حزيران سنة ١٨٩٠ لبست ثوب الابتداء ودعيت باسم الاخت ماري هيلانة.

اني اشكر الهي من صميم فؤادي على نعمة اهتدائي الى الدين المسيحي الكاثوليكي المقدس ، وعلى الخصوص بانسلاخي عن العالم وتدثري بالثوب الرهباني المقدس. . اه.

هذا ما قالته هذه الابنة الفاضلة عن نفسها . واما ما تتناقله السن اخواتها ومدبّريها ومرشديها عن فضائلها ، وقداسة سيرتها فهو كما يلي . فلم اشأ ان يبقى ذلك ضمن نطاق ديرها يردّده الخلف عن السلف بل ان يُذاع ويُشاع عبرةً وذكرى.

(للبحث صلة)

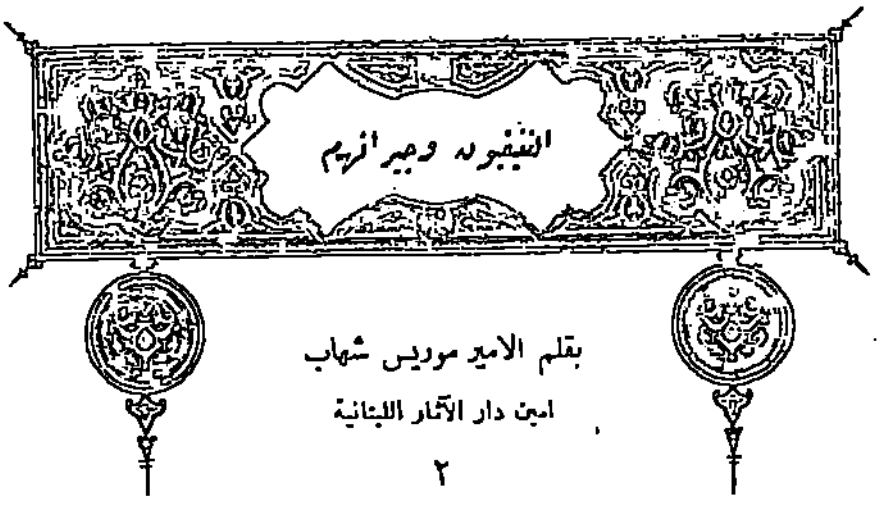

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

٢

فينيقيا ومصر

ان اقدم ما وصل الينا من الآثار الدالّة على قدم العلاقات بين مصر وبيبلوس قطعة اناء نُقش عليها اسم الفرعون خاسخموي . وقد كان مالكاً على مصر نحو السنة ٣٢٠٠ ق. م.

ولنا من العصر نفسه اسطوانة وجدت في بيبلوس ، كان يستعملها خاتماً رجلٌ كتب عليها ، بالحروف الهيروغليفية ، انه محبوب الاله - الشمس را ، والالهة ايزيس - حاطور ، والاله حاي - طو . وقد برهن السيد مونته ان حاي - طو هذا إن هو الّا الاله الذي دُعي في ما بعد بلسم أدونيس.

كان ادونيس الهاً شاباً وجيلاً ، وصيّاداً ماهراً . فطقت به ربة بيبلوس. وكان ان توغّل يوماً في احدى الغابات فطارد خنزيراً بريّاً حتى جرحه ، فارتدّ هذا على عقبه وانقضّ على ادونيس فقتله . فسال دم الاله على ارض الغابة ، وفي الغد شاهد النساس شقائق النعمان نمت بكثرة حتى غطّت ذاك المكان . على ان قسماً من هذا الدم سال حتى وصل الى نهر ابراهيم فاصطبغت مياهه بلونه . وما زالت حتى يومنا هذا ، تسيل حمراء في ايام الربيع ، فتصبغ قسماً من مياه البحر حول مصبّها . وكان الاقدمون يجتمعون حول النهر ، في مثل ذاك الوقت ، فيبكون الاله القتيل ؛ حتى اذا استعادت المياه لونها الطبيعي ، واكتست الارض كساءها الاخضر ، عادت الى الطبيعة نضرتها

السابقة ، ورجع ادونيس الى الحياة . عند ذاك كان يبتدئ موسم الطواف من بيبلوس الى افقا ، فتسير الجماهير ونهرَ ابراهيم ، وقد اهاب بهـا داعي الفرح فاندفعت تُصعد اهازيج السرور منصرفة الى ما حطَّ من الملاهي وما شانَ من الملذّات التي استحكمت مدة طويلة في ذاك الشعب حتى ان النصرانية لم تقوَ على ازالتها الّا بصعوبة .

على ان هذه العبادة للاله ادونيس لا تظهر قوية الازدهـار الّا في عصر متأخر . اما في ما سبق من الاعصر فيظهر ان العبـادة الاكثر انتشاراً كانت منصرفة الى حبيبته الالهية عشترت ، الهة الولادة ، التي كان يدعوها الفنيقيون بَعلة جبيل ، اي ربة جبيل .

وقـد بلغ تأثر الجبيليين بالفنّ المصري مبلغاً بعيداً حتى انهم كانوا يمثلون ربّتهم على هيئة الالهـة ايزيس المصرية جالسةً على عرش ، حاملةً باحدى يديها صولجان الملك ، وعلى رأسها دائرة الشمس بين قرني حاطور . وهي تظهر بهذه الصورة ليس فقط على الاسطوانة التي ذكرتها ، بل في صورة محفورة منذ السنة الالفين ق . م . تمثل ملك بيبلوس راكعاً امام الالهة .

هـذا وان في اعلى رقيم يرملك الراقي الى العصر الفارسي صورة الملك مكتسياً على الزي الفارسي ، وامامه بعلة بيبلوس ولم تفارق زيّها المصري . فيظهر من هذا الدوام في تصويرها على الهيئة المصرية ، برغم انتقال السلطة العليا من ايدي المصريين ، كم كان بعيداً تأثير هذا الشعب الـذي بسط نفوذه على العالم بمدنيته لا بسيفه .

. . .

اقتـدى جميع كبار الفراعنة في الالف الثالث ق . م . بالفرعون القـديم خاسخموي ، فملأوا هيكل بيبلوس بالآنية المأخوذة من حجـار الشطوط (*albâtre*) التي كانوا يملأونها ، على ما نظنّ ، ببعض الهدايا الثمينة . ويمكن زائر متحفنا ان يشاهد في خزائنه قطعاً عديدة من هذه الآنيـة ، حافظةً اسماء مشاهير الفراعنـة ككفرين وميسيرينوس (منكاوري) بانيّ اهرام الجيزة ، وتيتي ، وغيره ، ولاسيما الفاتح الاعظم پيي الثاني الذي قدّم للهيكل عـدة

آنية ، مع خوان للتقدمة ، وكثير من التماثيل الصغيرة من الخزف منها ما يمثل انثى قرد وقد ضمت صغيرها الى صدرها بحنوّ . وهو تمثال يظهر آية في الفنّ دقةً وحقيقة تمثيل . حتى ان احذق فنّاني العصر قد لا يفوق في ذلك فنّان القرن الخامس والعشرين ق. م.

ولكنّ هناك امراً في غاية الغرابة ، لا ندري هل سببه عدم التوفق في اجراء الحفريات ام الانقلابات السياسية في ذاك العصر ، وهو اننا لا نرى في الالف الثالث ق. م. ذكر ملك واحد من الوطنيين ، بل نرى كل الهدايا مقدّمة رأساً الى الآلهة. فهل يجيز لنا هذا الاغفال ان نستنتج فنقول ان بيبلوس كانت في الالف الثالث ق. م. تحت حكم مصر المباشر ؟ هو ما لا يمكن ان نرجّحه حتى اليوم على رغم المظاهر المتعدّدة.

ومهما يكن من الامر فان النصوص ، حتى الفنيقية منها ، ظلّت الى ما وراء ذاك الزمن تكتب بالحروف الهيروغليفية . بيد أنه قد يكون بامكاننا ان نعتبر راقيةً الى هذا العصر تلك الكتابة الغريبة التي اكتشفت السنة الماضية في بيبلوس . وهي تحتوي على احد عشر سطراً بابجدية مؤلفة من صور مختصرة تشابه الهيروغليف ولكن من نوع غريب لم يُعرف قبل اليوم ، ولم يتمكن احد حتى الآن من قراءة كتابتها. فهل تكون أثراً من ذاك العصر ، ومظهراً لطور الانتقال من الخط الهيروغليفي الى الابجدية الفنيقية ؟ اننا لا نرى الفرضية مستحيلة...

الثورة المصرية وتأثيرها في بيبلوس

في اواخر الالف الثالث ق. م. شُبّت في مصر ثورة هائلة قام بها الخدم والمماليك ، فاسقطوا اسيادهم من امراء وفراعنة ، واستبدّوا مكانهم بالملك . فكان من جراء ذلك مذابح وبلايا دامت نحو قرنين ساد فيهما الخراب والفوضى في جميع انحاء مصر ، حتى طمع الاجانب في وادي النيل واستولوا على قسم منه.

وكان من طبع المصريين الرغبة في التحبب والرثاء ، فوجد ادباؤهم في تلك

الحوادث موضوعات عديدة لبكائهم فانصرفوا اليها نادبين ممدّدين . وقد حفظت لنا الآثار قول احد كتبتهم في وصف ما ابداه المماليك الحديثو النعمة من الصلف والاستبداد فقال : «ان الاقرع الذي كان يُنفر منه لما كان عليه من القراد ، اصبح بدلك صلعته بالزيوت والطيب ويفرض على العقائل الشريفات احتمال مداعباته المزعجة.»

وقال كاتب آخر من العصر نفسه : «لم تعد المراكب تبحر الى بيلوس فتستورد الخشب لبناياتنا وانواع الصمغ والقطران لتحنيط موتانا.» فكان انقطاع هذه العلاقات ثقيل الوطأة على مصر.

اما في بيلوس فقد كشفت الحفريّات عن جدران الهيكل الراقية الى الالف الثالث ق. م. فاذا بها متكلّسة ، وفي اهراء الهيكل كثير من القمح المحروق . واذًا فان ثورة مصر اضعفت نفوذ الفراعنة في بيلوس ، فقام سكانها ثائرين على المصريين.

الّا ان هذه الثورة المحلية لم تلحق ضرراً بالمدينة ، بل كان الامر على عكس ذلك . فاننا نرى بيلوس بعد هذا العصر المضطرب على غاية ما يمكن الازدهار.

والى هذا العصر ، او الى ما قبله قليلًا ، يرقى السور الفخم الظاهر تحت سور الصليبيين . وهو مبني بحجارة دون ملاط يبلغ عرضه من ثلاثة الى اربعة امتار ، وتسنده من الداخل ركائز مربّعة يبلغ ضلعها المترين . اما من الخارج فتعلوه طبقة من الطين لا ريب في انها كانت مبطنة الظاهر حتى يصعب تسلّقها. وهذا السور من افخم ما يُعرف من نوعه في سورية وفلسطين . ولا عجب فقد خلّدت التوراة حذق الجبليين في نحت الحجارة.

وبعد ان اتمّ الفنيقيون بناء السور ضحّوا ، حسب عادتهم ، ببعض اطفالهم ، ووضعوا هياكلهم في جرار كبيرة مكنوها في اسفل السور وقد كانت هذه العادة الوحشية عزيزة على الفنيقيين على الرغم من ذم الاقدمين لها ، ولاسيما التوراة . وذلك ان الفنيقيين كانوا ، كسائر البحريين ، كثيري العبادة ، راسخي العقيدة ، شديدي التمسك بالتقاليد ، حتى انهم لم يتخلّصوا من تلك

العادة الذميمة الّا في عصر متأخر ، يساعدنا التاريخ على تقديره اذ يروي لنا انه لما حاصر الاسكندر الكبير مدينة صور ، كان فيها كثير من اهالي قرطاجة فنصحوا لسكانها ان يقوموا ببعض الضحايا البشرية ترضيةً للالهة كما جرت عادة سلفائهم ، فأبى هؤلاء وذموا عبادة جدودهم الوحشية. وعليه يمكننا الاستنتاج ان تلك العادة استؤصلت بين القرن التاسع وهو تاريخ بناء قرطاجة والقرن الرابع وهو تاريخ خراب صور.

معبد أثار بيبلوس

وكانت بيبلوس المتجدّدة بحاجة الى هيكل فبُني بعد ان وُضع تحت بلاطه ثلاث جرار كبيرة مُلئت بالهدايا والنذور . وقد شاء القدر ان يحصل متحف بيروت على هذه الجرار ، فاذا فيها نحو ١٥٠ تمثالًا صغيراً من البرونز المموّه بالذهب . على ان تلك الصبغة الذهبية اضمحلّت لرقّتها ولم يبقَ الّا آثار منها علقت في مطاوي بعض التماثيل . واكثر ما تمثّله الآلهةَ ، والنساء ، والابطال مسلّحين بالخناجر ، او بالرماح ، او بالقسيّ . ويمكن ان نقسم هذه التماثيل المصنوعة كلها في فنيقية الى فرعين ممتازين صادرين عن طريقتين للفنّ مختلفتين : امّا الاولى فتمتّ الى الفنّ المصري بصلة قوية ، واما الثانية فتتبع الطريقة الاسيوية لاسيما في ما خصّ لبس اللبّادة المبروفة . ومهما يكن من خاصّة فنيّة في ذلك ، فاننا نرى جميع الرجال مرسلي اللحى ، بارزي الانوف ، ظاهرين ، في قسمات وجوههم ، بمظهر المثال الوطني الاسيوي الذي يقترب كثيرًا من المثال السوري الشمالي ، او من مثال بلاد الحثيين . وان واحداً من تلك الشخوص الصغيرة يمثل عجلًا مغشى بالذهب في غاية ما يكون من اتقان الصناعة.

وبعد ذلك وُضع برّة رابعة تحت بلاط الهيكل فاكتشفها السيد مونته واخرج منها ومن حولها كثيرًا من التماثيل الصغيرة ايضاً وفيها شخوص القردة ، والارانب ، والاسود ، او الاسطوانات التي كانت تُستعمل اختاماً كما جرت العادة في سورية الشمالية . وكان بين هذه الآثار حُلي من الذهب مستدير الشكل نقشت فيه الاهلة وحُفرت النجوم رمزًا الى الالهة عشترت (انظر الرسم ١). وقد وُجد في هيكل شوشنك قطعتان شبيهتان بهذا الحلي ،

الا انهما اقلّ منه قيمة فنية . مما يدلّ على انه كان لبيلوس علاقات مع بلدان آسية الوسطى منذ القرن السابع عشر ق. م. فكانت تمثل في ذاك العصر العريق الدور الذي تمثله بيروت اليوم ، اي انها كانت مرفأ الشرق.

ومما وُجد في هيكل بيلوس ايضاً سلسلة شخوص من البرونز تمثل عدة حيوانات كالاسود والثيران وما اليها ، وتدلّ بالاجمال على ملاحظة دقيقة وفنّ رشيق.

ويظهر ان هيئة بعض الآلهة الممثلة مصرية محضة الّا ان هذه التماثيل مصنوعة في فنيقية دون شك . ولقد كان الفنيقيون كالمصريين ينبغون في التعبير عن صفة مُمثلهم باشارة بسيطة تُلخّص اخلاقه كلها . ومن هذا القبيل تمثال الاله فتاح ، وهو ولد صغير مُمثل يمصّ احدى اصابعه.

على انه ما وُجد من الآثار في هيكل بيلوس لا يكاد يُذكر الى جنب ما اكتشف في القبور الملكية من الكنوز الفنية الراقية الى العصر نفسه.

كان ملوك بيلوس ، في هذا العصر ، اي في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق. م. يُدفنون بين السور والبحر . فكان القادمون من البحارة الى بيلوس يرون الآثار المقامة على قبورهم قبل ان يصلوا الى المدينة.

وقد شاءت الصدف ان يكتشف مقرّ هذه المقبرة الملكية على الصورة التالية :

ان امواج ذاك الخليج الصغير تهيج في فصل الشتاء فتضرب آساس الشاطئ حتى تخلخلها . فكان انها احتفرت قسماً كبيراً من ترابه سنة ١٩٢٠ ، فانهار احد المرتفعات ، وظهر تحته غرفة مربّعة . وعلى اثر ذلك مرّت احدى نساء جبيل امام ذاك الانهيار ، فدفعها الفضول الى معرفة ما في الغرفة . ولشدّ ما كان انذهالها اذ رأت فوق الغرفة ناووساً عظيماً من حجر واحد ، وعلى الجدران بعض رقائق من الذهب تلمع تحت وقع شعاع من الشمس داخل من احد الخروق. ولقد كان انذهالها اعظم اذ شاهدت في زوايا الغرفة عدة جرار موقفة ومسندة بترتيب . فلم يكن من شك في انها ملأى بالكنوز ، حتى لم يعد للمسكينة من صبر على فحصها ، فاسرعت وحملت احداها على كتفها وخرجت كالمجنونة

الرسم ١
حلي من الذهب وُجد في بيبلوس اثناء
حفريات المسيو مونته
(متحف بيروت)

الرسم ٢
نسر من الذهب باسط جناحيه ،
من آثار بيبلوس
(متحف بيروت)

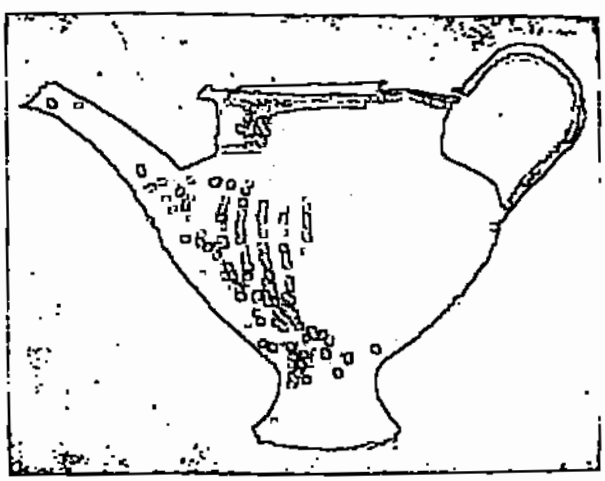

الرسم ٣ : اناء من فضّة وُجد في بيبلوس (متحف بيروت)

راكضة في اسواق البلدة الصامتة منادية باعلى صوتها : كتز ا كتز ا على انها سرعان ما افاقت من نشوتها ، اذ اوقفها افراد الجندرمة فاخذوا منها الجرّة ، وحرسوا باب الغرفة ، وابرقوا الى بيروت.

فاجريت الحفريات بكل دقة ، واذا بالقبر مبني على الطريقة المصرية ، وهو يحتوي على طابق سفلي مؤلف من بئر مربعة المدخل يبلغ عمقها نحو التسعة الامتار ويبلغ ضلع مدخلها نحو الاربعة ، منقورة في الحجر الصلد . وفي اسفلها ممشى واسع يوصل الى الضريح. وفيه كانوا يضعون الميت في تابوته ، ومعه كل ما كان يحب من الآنية والحلي. اما التابوت الذي يهمنا امره فكان خالياً من هيكل صاحبه ، فلم يُرَ فيه الّا ما دفن مع الميت من الحلي والاشياء الثمينة . من ذلك قطعة من الذهب تمثل نسراً باسطاً جناحيه (الرسم ٢) وُجدت محل عنق الميت في التابوت ، وحذاء من الفضة كان محلّ القدمين . والى جانب اليد ، وُجد صولجان من البرونز ، على هيئة المنجل ، وفيه نقش على هيئة رؤوس الافاعي . ثم اناء من الفضة لا يكاد يختلف في شيء عمّا نستعمله في عصرنا لسكب الشاي وما شاكل (الرسم ٣) . هذا ومن بعض آنية اخرى وُجدت في هذا القبر يظهر من شكلها وطريقة شغلها انها من عمل جزر بحر ايجه ، يمكن ان نستنتج انه كان بين بيبلوس وهذه الجزر المزدهرة بالعمران اذ ذاك ، علاقات وثيقة ، ولا غرو فالشعبان من مشهوري البحّارة في الكون.

(للبحث صلة)

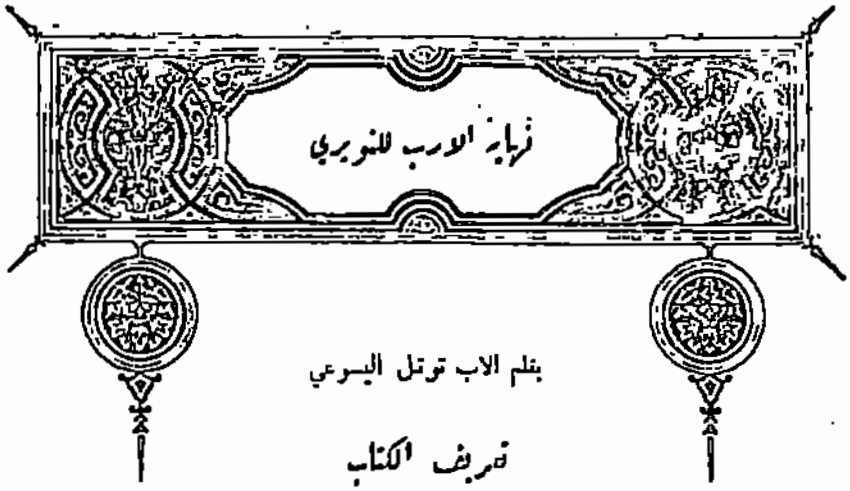

بقلم الاب توتل اليسوعي

تعريف الكتاب

جاء في كشف الظنون للحاج خليفة ، طبعة فلوغل ، عدد ١٤٠٦٩ :

« نهاية الارب في فنون الادب تأريخ كبير في ثلاثين مجلداً ، لشهاب الدين احمد بن عبد الوهّاب النويري الكندي ، المتوفى سنة ٧٣٣ . الفه في زمن الملك ناصر الدين محمّد بن قلاون . اوله : « الحمد لله رافع السماء وفاتق رتقها ومنشىء السحاب ومؤلف ودقها الخ » قال : وما اوردت فيه الّا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه . ورتّبه على خمسة فنون : ١ً) في السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية ويشتمل على خمسة اقسام — ٢ً) في الانسان وما يتعلّق به ويشتمل على خمسة اقسام — ٣ً) في الحيوان الصامت ويشتمل على خمسة اقسام — ٤ً) في النبات ويشتمل على اربعة اقسام وذيّله بقسم خامس في انواع الطب — ٥ً) في التأريخ ويشتمل على خمسة اقسام . »

ومرتبة الكتاب في فهارس الكتب العربية بين الموسوعات ، لان صاحبه توسع فيه لذكر كلّ ما خطر على باله من المعارف العامة في القرون الوسطى . وان يكن للنويري انداد يزاحمونه في هذا المضمار كالعمري (†١٣٤٨م ٧٤٨ه) واضع مسالك الابصار في ممالك الامصار ، والقلقشندي (†١٤١٨م ٨٢١ه) مؤلف كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، فله عليهم فضل السابق في الزمان ، فاستفادوا من مؤلفاته واغترفوا من موارده .

قد ازدهرت الموسوعات في العصر المغولي ولم يحجم ادباؤه عن اخذ مواد كتبهم اينما وجدوها صالحة لاغراضهم ، ولم يتكلّفوا في التأليف مؤونة لابتكار بل اجهدوا العين بالمطالعة واليراعة بالتحبير ، ونسخوا ما شاء الله ان

ينسخوه ، ودوّنوه في كتبهم.. ولا حرج عليهم من استعارة موادّ كتبهم على شرط ان يدلّوا الى مراجعها ، فلا يبخسوا حقوق من كان قبلهم من المؤلفين وعلى هـذه الخطة المحمودة سلك النويري ، فأدّى بنا الى نتيجتين رائعتين : احداهما ادبية والاخرى تاريخية وسوف يأتي الكلام عليهما بعد النظر في طبعة الكتاب ونسخه.

طبعة الكتاب

في السنة ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ) طبعت دار الكتب المصرية السفر الاول من هذا الكتاب الجليل ، ومن ثم نشرت ستةٌ من اسفاره ، وها ان السفر السابع قد ظهر اخيراً وأُهدي الينا ، وقد صححه السيد احمد الزين ، بمساعدة الاستاذ محمد اسعد بك برادة ، مدير دار الكتب المصرية ، والاستاذ محمد البلاوي. فضبطت اعلامه ، وفُسّر غريبه ، وكُشف عن غوامض مخطوطه ومعانيه بشروحات فكّت مشاكله ، وزادت فوائده . والكتاب مطبوع على ورق صقيل بغاية الاتقان الفني ، الّا بعض الاغلاط المطبعية التي لا يسهو عنها القارئ اللبيب فيصلحها بلمحة بصر . وان عملاً كهذا لا تقوم به الا الدوائر الواسعة والشركات الكبيرة مَن لها ما لدار الكتب المصرية مِن رجال ومال . وهذه الطبعة تحفة العين وملاذ الذاكرة يهتدي فيها القارئ الى غرضه لاول وهلة ، ويقتبس منها مراده من غير عناء ، فيتيسر من ثم الاشارة الى المآخذ بالصفحة والسطر ؛ واعدادُ الاسطر مرقومةٌ خمسةً خمسةً في الهامش ، ورتب صحائف المخطوط موضوعةٌ في حلقة ، واحرف المتن مشكلة بين كبير وصغير ومعتدل ، وعلاماتُ الوقوف تتخلل الاسطر ، والالفاظُ مضبوطةٌ بالاشكال الكافية لازالة مبهمات المعاني . واننا وددنا لو أُشير في آيات القرآن الى مآخذها ، ونودّ كثيراً ان يوضع في نهاية كتاب النويري كله فهرس عام ليس فقط لاعلامه ، ولكن لموادّه ايضاً ؛ وليس الامر بعيد المنال لان الفهارس الموجودة في صدر كل سفر من الاسفار سوف تساعد كثيراً على القيام السريع بذلك العمل الضروري . فانه يزيد قيمة الكتاب اضعافاً بتسهيل مراجعته.

نسخ الكتاب

لكتاب نهاية الارب نسخ شتى دلّ عليها بروكلمان في تاريخ الاداب العربية (٢: ١٤٠) . منها في برلين ، وڤينا ، وباريس ، ولندن ، ومصر ، والاستانة. وليست نسخة واحدة منها موجودةً بكاملها على ما يظهر من مطالعة وصف مخطوطات النويري في فهارس مكاتب المدن المذكورة.

قال السيد احمد الزين في مقدمة السفر السابع :

« وقد بذلنا وسعنا ، وغاية جهدنا ، في سبيل اظهاره للقراء سليماً من التحريف والتصحيف ، اللذين مثلت بهما اصوله التي بين ايدينا ، وهي نسخة واحدة ، مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٢٠ — « تاريخ ».»

وتمنينا لو افادنا حضرة الناشر عن الاصل الذي اخذت عنه النسخة الوحيدة بالتصوير ، ولو عهد الى احد الادباء في النظر في اجزاء الكتاب المحفوظة في اوربة لعلّ بينها جزءاً تخالف نسخته الجزء الذي اخذ الناشر بطبعه. فان خزانة المكتبة الوطنية في باريس تحوي ، رقم ١٥٧٧ ، اجزاء مخطوط للنويري فيه وثائق عدة ، منها رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد بن زيدون على لسان ولّادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري ، والرسالة المنسوبة الى ابي بكر ، منه الى علي بن ابي طالب وغير ذلك ممّا لا تقصر ذراع دار الكتب المصرية عن استنساخه او تصويره ، وممّا كان يوسعها ان تستفيد منه عند طبع السفر السابع. على ان الناشر عمد الى المؤانات المشتركة موادّها بينها وبين النويري ، لتصحيح هذا السفر ، وصدر الكتاب بلائحتها . وقد توفق الى بلوغ المرام ، لكنه على ما بذله من غيرة محمودة في التصليح لم ينج من نقد الناقدين وهو ذا الاستاذ المقربي في دمشق قد حرر ١٤ صحيفةً من مجلة المجمع العلمي العربي (تموز ١٩٢٩) مبتغياً تصحيح الجزء السابع من نهاية الارب.

تحليل الكتاب

هو مطوّل في المعاني والبيان والخطابة ، له قيمته الاثرية في تاريخ التدريس ، لكنه قليل النفع للمدارس.

ليس المقام مقام ذمّ طرائق التعليم البيانية الجافة العقيمة المكثرة من نصّ القواعد ، القاصرة على تدريس اللغة بمفرداتها ومرادفاتها وعلى تهذيب الذاكرة دون تنبيه البصيرة الى التمعن والانتاج بالكشف على الاشياء في عللها وتفسيرها مع مراعاة اتصالها بالاشخاص والامكنة وسائر الظروف . وربما اخذ ابناء عصرنا على النويري اسرافه في تمديد اساليب البيان واكثاره من تشعيبها حتى اتاقت على العشرات . فان العقل بتيه والذهن يشرد بين ما وضعه من الفصول : في الحقيقة ، والمجاز ، والاستعارة واقسامها ، والكناية ، والتعريض ، الى غير ذلك من فصول التجنيس : كالمستوفى التام ، والمختلف ، والمذيّل ، والمركب وانواعه ، والمزدوج ، واجناس التجنيس العديدة ، الى غيرها من فصول الطباق ، والمقابلة ، والسجع ، والترصيع ، والمتوازي ، والمطرّف ، والمتوازن وغير ذلك مما توزعت مادة فهارسه على اربع صحائف من الكتاب ونيف . اما اسلوب التأليف فيكاد لا يتغير على اختلاف مواضيع المقال ، لان النويري اذا تناول البحث في شيء ما جمع كل ما ورد على خاطره مما يناسب ذلك الشيء واستشهد بسه مبتدئاً بالآيات القرآنية ، ثم بنصوص الحديث ، ثم بالامثال والاشعار والاقوال الرائعة . وربما نظم هذه المواد في سلك واهٍ عاجز عن الربط بينها رباطاً منطقياً .

فيقرأ المطالع الصحائف ثم يعود الى نفسه ويحاسبها عما قرأت ، فيرى انه لم ينتفع من القراءة كثيراً لان المؤلف لم يأتِ فيها بالكلام على العلل .

قال النويري في القلم : (ص ٢٠)

قال الحكماء : القلم احد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرّ القلوب . وقالوا : عقول الرجال تحت ألسنة اقلامها . بنو الاقلام يصوب غيث الحكمة . القلم صائغ الكلام ، يُفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يسبكه اللُّب .

وقال جعفر بن يحيى : لم أرَ باكياً أحسن تبسماً من القلم .

وقال المامون : قُه درّ القلم كيف يحوك وشي المملكة !.

وقال ثمامة بن أشرس : ما أنبتته الاقلامُ ، لم تطمع في درسه الايام .

بالاقلام تُدبَّرُ الاقاليمُ . كتاب المرء عُنوان عقله ، ولسان فضله . عقل الكاتب في قلمه

وقال ابن المعتزّ : القلم مُجهِّزُ لجيوش الكلام ، يخدم الارادة كانه يقبّل بساط سلطان ، او ينفّض نُوّار بستان . وقال . . .

وعلى هذا النمط يسير بنا النويري سحابة ١٢ صفحة . وهو كالنحلة تحوم حول الخلايا ولا تدخلها . فانه يعني بالقلم تارة اليراعة للتسطير ، وطوراً الريشة التي تُصوّر بها الصور على الاقمشة ، وتارة خُلق الكاتب ، وطوراً ارادته . . . وقد يتاح للقارئ ان يكشف على هذه المعاني في النصّ الذي ذكرناه ومثلها غيرها عديد فيما لم نذكره . وكنا نكتفي من ذلك بالقليل لو اظهره النويري على علاته وعلمنا : كيف ومتى وباي وسائل ، وعلى اي مثال « يحرك القلم وشي الممالك » ولم يكن قاصراً عن الاخذ بوضوعه عن طول باع هو الذي عهد اليه المماليك بنظارة الجيش في طرابلس في ايام حروب كان فيها نظام الجيش مقتضياً من الحكام غاية الذكاء والفطنة .

ولكن كم من طرفة ظريفة تروق قراءتها في هذه الموسوعة الكبيرة . قد انزل في يومنا « القلم المدّاد » اليراعة عن عزها ، وخلع الدواة عن عرشها ، واستهوت الالة « الكتابة » انامل الكتاب وصرفت همّ الكثيرين عن شأن الخط ، ومع ذلك فلا بأس من ان نراجع مع قراءة النويري ذكر عهد غير بعيد عنا كان فيه الاستاذ يلف ساقاً على ساق ويُحكم جلوسه ليحسن الكتابة طبقاً لاصولها وآدابها .

قال النويري : (ص ١٢)

« من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحسّ ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل وخطف الاشارة ، وملاحة الزي . وقال : من كمال آلة الكاتب أن يكون بهيّ الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحسّ حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك مستفره المركب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الاجزاء ،

طويل اللحيـة عظيم الهامة ؛ فانهم زعموا ان هذه الصورة لا يليق بصاحبهـا الذكاء والفطنة.»

هـذا والهدة على الراوي فعفواً اذاً ممن كان قصير القامة ، من كتّابنا ، كبير الهامة ، او قضت عليه ساعات التأليف والتحرير بان تتفضفض جثته من كثرة الجلوس وقلة الحركة...

على ان الكلام في القلم يبحث ليس فقط عن صفات الكاتب الماديـة ولكن عما يحتاج اليه من المعارف العمومية . وهذا الفصل مفيد للوقوف على حركة الافكار ايام كتب النويري وللمقـابلة بين برامج التعليم الموضوعـة في المعاهد الاسلامية العلمية ، وبرامج التعليم العصري . لم يهتم العرب لدرس لغة من لغات البلاد التي فتحوها كالسريانية ولهجاتها والفارسية او القبطية وغيرها ، وتركوا لاهل هذه البلاد على العموم العناية ببعض العلوم والفنون ولم يكترثوا لشرع غير الشرع الاسلامي ، ولم يعنوا في تدوين تواريخ البلاد وجغرافيتهـا في الغالب الا بما يساعد على حشد الاموال والعساكر ، وحصروا جلّ مجهوداتهم بدرس اللغة العربية والاخذ بها من اطرافها المتصلة بعلم القرآن والحديث والفقه وهذه العلوم هي الدستور المؤسسة عليه الجامعة العربية.. جاء في نهاية الارب على ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الامور الكلية (٢٧) :

اول ما يبدا بـه من ذلك حفظ القرآن ، ومداومة قراءته ، وملازمـة درسه ، وتدبر معانيه حتى لا يزال مصوراً في فكر الكاتب دائراً على لسانه ممثلاً في قلبه ، ذاكراً له في كل مـا يرد عليه من الوقائع التي يحتـاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الادلة القاطعة به عليها ؛ وكفى بذلك معيناً له في قصده ، ومغنياً له من غيره.

واثبت النويري قضيته هـذه محتجاً بالآية : «ما فرطنا في الكتاب من شيء» وبغيرها وباقوال الصحابة واخبار الخلفاء وغيرهم من كبار المسلمين . ثم قال (ص ٣٠) :

«يتلو ذلك الاستكثار من حفـظ الاحاديث النبوية وخصوصاً في السير والمغازي والاحكام والنظر في معانيها وغريبها وفصيحها وفقه ما لا بـد من

معرفته من احكامها ليحتج بها في مكان الحجة ، ويستدل بموضع الدليل . . .

ويتلو ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحو التي يحصل بها المقصود من معرفة العربية . . . ويتعلق بذلك قراءة ما يتهيأ من مختصرات اللغة . . . وحفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ومكاتباتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه او لقومه وما نقضه عليه خصمه . . . ثم النظر في ايام العرب ووقائعهم وحروبهم ، وتسمية الايام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الاخرى ، وما جرى بينهم في ذلك من الاشعار والمنافسات . . . ثم النظر في التواريخ ومعرفة اخبار الدول . . . فان الكاتب قد يُضطر الى السؤال عن احوال من السلف او يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها او يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها عن مجازها . . . ثم حفظ اشعار العرب ومطالعة شروحها واستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء بها منها ، كالحماسة ، والمفضليات ، والاصمعيات ، وديوان الهذليين ، وما اشبه ذلك .

وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المحدثين كابي تمام ، ومسلم بن الوليد ، والبحتري ، وابن الرومي ، والمتنبي . . . وكذلك النظر في رسائل المتقدمين ، وكتب الامثال الواردة عن العرب ، كامثال الميداني ، والمفضل بن سلمة الضبي ، وحمزة الاصبهاني ، وغيرهم وامثال المحدثين الواردة في اشعارهم كابي العتاهية ، وابي تمام ، والمتنبي ، وامثال المولدين . . . والنظر في الاحكام السلطانية .

قال : « فهذه امور كلية لا بد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها والاكباب على مطالعتها . والاستكثار منها لينفق من تلك المواد ويسلك في الوصول الى صناعته تلك الجواد ، والا فليعلم انه في واد والكتابة في واد . »

هذه نبذ استخرجناها مثالاً يرشد القارئ الى اسلوب الكتاب ومحتوياته وليست فوائده التاريخية دون محاسنه الادبية رونقاً . ان الجزء الاخير من هذا السفر حاوٍ نماذج من الخطب والرسائل المعوّل عليها في معرفة التاريخ وربما روى النويري اثراً من تلك الآثار الرائعة ، وهو غير متيقن صحة نسبته الى

اصحابه ، فلم يغضّ النظر عن شكوك بعضهم بصحته فيه بل نبــه القارئ اليها . قال (ص ٢١٢) في الرسالة المنسوبة الى ابي بكر منه الى علي ومــا يتصل بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب عليّ :

« هذه الرسالة قد اعتنى الناس بها واوردوها في المجاميــع ، ومنهم من افردها في جزء ، وقطع بانها من كلامهم رضى الله عنهم ، ومنهم من انكرها ونفاها عنهم ، وقال : انها موضوعة واختلف القائلون بوضعها فمنهم من زعم ان فضلاء الشيعة وضعوها ، وارادوا بذلك الاستناد الى ان عليًّا بن ابي طالب رضى الله عنه انما بايع ابا بكر الصديق بسبب ما تضمنته ؛ وهذا الاستناد ضعيف وحجة واهية والصحيح ان عليًّا بن ابي طالب رضي الله عنه بايع بيعــةً رضى باطنه فيها كظاهره والدليل على ذلك انه وطئ من السبي الذي سبي في خلافة ابي بكر واستولد منه محمد بن الحنفية ولا جواب لهم على هذا ؛ ومنهم من زعم ان فضلاء السنة وضعوها والله اعلم . »

وان تكن قيمة الرسالة الادبية التاريخيــة عظيمة فان ملاحظة النويري ليست دونها منزلةً لانها تفتح الباب للتنقيب وتؤدي الى الكشف عن غوامض التاريخ بالاسلوب العلمي ، فلا يرضى العاقل ان يصدق الّا ما كان مستندًا الى اساس متين . وان وقوع تلك الرسالة الشهيرة موقــع الشك في نظر النويري وامثال ذلك من اخبار تنازع في صحتها الاحزاب هي التي دفعت المحدثين ، في مصر خاصةً ، الى شكوك كثيرة وصارت حجةً لصاحب الكتاب « في الشعر الجاهلي » و « في الادب الجاهلي . »

مجلة المجلات

للاب توفل اليسوعي

المسيحيون على عهد السلاطين (١٥٥٣ - ١٥٩٢)

هذا المقال وضعه السيد لوران في مجلة « صدى الشرق » الافرنسية (١٩٢٩ ص ٢٩٨) وصفاً لكتاب ظهر باللغتين التركية والافرنسية ايام الحرب الكونية ، تحت العنوان : « اوتونجي عمري مجريده استانبول حياتي » (حياة القسطنطينية في القرن العاشر الهجري) حُفظت فيه ٢٦٣ وثيقة لتاريخ بلدية استانبول في القرن السادس عشر م. من جملتها البنود المختصة بالحياة الدينية ، وكلها ، الا النذر القليل ، مسونة بحق الاوقاف الغير المسلمة . وغرضها الاجهاز على بواقي الحرية التي كان المسيحيون يتمتعون بها منذ ايام محمد الفاتح . واننا عند قراءتنا تلك البنود وتفكّرنا بانقراض دولة بني عثمان نرى في سوء معاملة الاتراك لرعاياهم احد الاسباب الجوهرية التي نفرت منهم القلوب وافقدتهم ما اكتسبه لهم سلاطينهم :

١) مفروض على المسيحيين الا يبنوا دورهم في جوار الجوامع
٢) يجب احصاء الاسرى والغلمان الموجودين في دور غير المسلمين
٣) يجب القبض على هؤلاء الاسرى وتسليمهم الى المسلمين
٤) يجب هدم بعض الكنائس والدير المبني بالقرب من سولوموناستير
٥) يجب على المسيحيين ان يحفظوا ما فرض عليهم في امر الملبوس
٦) يجب نفي مطروقانوس الثالث البطريرك السابق الى جبل اتوس
٧) مفروض على المسيحيين الا ينقلوا الخمر بالقرب
٨) على المسيحيين واليهود ان يحفظوا القوانين فيما يخص لبس البرنيطة

ومثالاً لتلك الوثائق اليك تعريب الامر الشاهاني الموجّه في ٨ ربيع الاول ٩٧٣ (٣ تشرين الثاني ١٥٦٥) الى قاضي استانبول :

« ان الكفار الائمة فزعوا الى امري الشاهاني قائلين ان كنيستهم المبنية ما وراء بلاط قبو قد قفلت ابوابها ومُنع عن دخولها طبقاً لاوامري المقدسة .

واني لما علمت أن الكنيسة المذكورة لم تكن سابقاً سوى بيت وان الكفار حوّلوها الى كنيسة اذ بنوا طابقاً عليها ، امرت بهدمها وسخرت علياً بذلك . فعليك اذن ان تسرع وترافقه الى المكان المذكور وتأمر بهدم ما ارتفع من البنايات على غيرها ، ولا تسمح لاحد بمخالفة اوامري . وبلّغ الغير

المؤمنين انـه مفروض عليهم الّا يلتفتوا في ذلك البيت احتفـالاً بطقوسهم واوصِ المسلمين المجاورين بان يخبروكم عنـد اجتماع الكفار في البيت المذكور او عند تصميمهم بناية غيره . ليكن اذن هذا معلوماً ولا تسمح ابداً بعمل مخالف للشريعة ولامري.»

تحرير المرأة الافغانية

عن مجلة الدروس الاسلامية الافرنسية (١٩٢٨ : ١٩١)

رغب امـان الله في نشر التعليم بين النـساء ، وساعدته على ذلك امرأته الملكة ثريا بنت وزير الخارجية ، والسيدة قرينة الوزير . ففتح ثلاث مدارس للاناث . وعهد بادارتها الى قرينة الوزير ، وهي في الوقت ذاته كانت محررة جريدة اسبوعية عنوانها « ارشادى نسوان »

واخذت الملكة على عاتقهـا زيارة المـدارس بنفسها . ثم أنشئت مدرسة المعلمات ، ومدارس اخرى للاناث تولّت حمايتها ام الملك وساعد عليها الاميرات نسيبات الملك . وكنّ يختلفن عليها لتعليم البنات.

تلك كانت اوائل الحركة النسائية الافغانية ، لكنها اصطدمت بمقاومـة الاعيان ، ونجم عنها اغلاق بعض مدارس البنات وقتياً.وتلا ذلك سفر ملكي الافغان الى اوربة ، فهبّت ريح التجدّد منشطة الناس على تحرير المرأة.

وفي ١ تموز ١٩٢٨ مرّ الموكب الملوكي في مصاف الجماهير ، وهو عائـد من اوربة فاذ بحمية الملك الملكة واخت الملك ولا يحجب وجههـا عن عيون الناس الا غطاء شفاف تبدو منه ملامحها . فتعجب الناس لذلك ومما زادهم دهشة الخبر الذي شاع بينهم ان الملك لما دخل قصر دلكوشه خطب في النساء الملتئمات فيه لاستقباله وكلمهن بضرورة تحريرهن . وقال انـه زار تركية فوجد نساءها « حرّات سافرات ».ثم قال اما في العجم فالامر على خلاف ذلك «لان النساء لا يزلن في حكم الرجال المستبدّين ولا حرّية لهن البتة فبئست الحالة.»

ثم قال ، والسيدات يقطعن كلامه بتصفيق الاستحسان ، «يجب ان تكون النساء مساويات للرجال. فلا بد لهنّ من طرح الحجاب ولو امتعض الرجال واغتاظوا.»

وفي ٣ تشرين الاول ١٩٢٨ ، تكلم الملك في كابل معرباً عن نظره في

امر الحجاب والسفور ، وانه غير مناقض لشريعة الاسلام . قال:

« كلٌّ حرّ بامره . فالقبائل حلت المشكل ، كل قبيلة طبقاً لعوائدها ، والسفور شائع عند البعض والحجاب عند غيرهم . وهكذا سوف يكون فانتم وشأنكم بالامر اما انا فارفع الحجاب عن وجه امرأتي.»

هذا ، وامر الملك امرأته بالسفور . فنزعت عن وجهها حجاباً خفيفاً شفافاً كان مضروباً عليه فقال الملك للحاضرين :

« وهل فيكم من يحتج على ما فعلت ! » . فسكتوا...فقال : « اذن اقتفوا آثاري ، وانزعوا الحجاب عن وجوه نسائكم ! » وفي مجتمع آخر في نادي « سينماتي » ، وقف الملك محاضراً وتكلم عن رحلته الى اوربة في خلال معرض الصور . ولم يتهِ فصل من الفصول الا ظهرت على المسرح امرأة محجوبة وخاطبت الجمهور قائلة :

« لقد شاهدنا في الصور معامل البلاد الاجنبية وتحققنا بام العين ما يقوم به اخواتنا من الاعمال . وقد انكر الملك علينا ، نحن الافغانيات ، عدم مساعدتنا رجالنا وانصرافنا عن الاشتراك بعمران البلاد . ولكن هل كان من سبيل الى ذلك ورجالنا يحولون بيننا وبين العمل ؟ فاذاً الى العمل...» وطرحت الحجاب .

ثقفوا بناتكم

في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٨ القى السيد محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق على مسامع السيدات محاضرة موضوعها « الفرق بين تربيتنا وتربية اهل الغرب » . زار المحاضر بلاد الغرب مرات وكتب عليها فصولاً ومقالات نشرها في سنة ١٩٢٣ في كتاب عنوانه « غرائب الغرب » وقال في تلك المقالات « انما لا تحسن في مطاويها من مدنية الغرب الساحرة الا بقدر ما تصل اليه يد عابر سبيل ويتخطف له فكر التريل والدخيل » وها انه زار الغرب مرة اخرى فقال في تعليم البنات :

« حقيقة ان المرأة مقصرة في هذه البلاد عن بلوغ شأو النساء في الامم الراقية ، اليوم ، قصوراً مخجلاً كان علة العلل في وصمنا بكل نقص ودمينا بكل كبيرة ولكن الذنب ذنب الرجال لا ذنبها . هي ضعيفة واغتصبها القوي حقها ونظر اليها غير نظر الغربي للنساء....

الحياة ميدان جهاد بين الناس لا يختلف فيه ذكر عن انثى ولا اسود عن

ابيض ولذلك رأينا الغرب لما تمت ادوات ترقيه قامت المرأة تغالب الرجل فتغلبه او تكاد. لانها نافسته في المعامل وفي المخازن وفي الحقول وفي الاستخدام فمظم الفنادق والمطاعم والمقاهي والاندية والمصارف وبيوت التجارة هي بايدي النساء نافسهن فيها الرجل فغلبنه وجدلنه بل اخذن ينافسن الرجل في المستشفيات في تمريض وتطبيب وفي المعامل الكيماوية بل وفي التأليف والصحافة والكتابة والمحاماة والحساب فتآليف النساء في الغرب كثيرة جداً وكلامهن في النظم والنثر مقبول اكثر من كلام الرجال والمحاميات عن قضايا النساس موفقات ببلاغتهن وتجربتهن [كذا] اكثر من الرجال والصحافيات نافذات الكلم مؤثرات في الاحزاب والنواب ، وبلغ بهن الترقي هناك ان كان منهن النساء الطيارات والغواصات وما ادري اي صنعة من الصنائع في الغرب لم تشارك فيها المرأة الرجل ولم تسر معه جنباً الى جنب سير المثيل للمثيل....

نحن الآن نحتاج الى ان نأخذ من اوربة في تربية نسائنا ان يكنّ على شيء من الصبر والثبات اولاً وان يتعلم ما امكن جميع النساء التعليم الابتدائي وقليل منهن يتعلمن بحكم الطبيعة والحاجة التعليم الاوسط او العالي وان تعمل كل امرأة واجبها نحو ابيها وأمها وزوجها واولادها . ولكن الوصول الى هذه الدرجة نحتاج الى ان تعمل له ثلاثين سنة أخرى على الاقل وان تقوم الطبقة المثلى منكن تجتمع وتفكر وتقدر وتقرر وتنفذ فاحك جسمك مثل ظفرك. نعم يجب اعتماد النساء في نهوضهن على عملهن الخاص واجتهاد افراد منهن فقد تركن الحبل على الغارب واتكلن على الرجل في كل شيء. فاصبح الاتكال لمن خلقاً انسن به ولم يعدن ينكرنه فضاعت مع الزمن بعض مزايا كانت مغروسة في بنات حواء. واصبحت وظائفهن محصورة في دائرة ضيقة وتزيد ضيقاً كلما كان الرجال يجورون عليها وينحط المجتمع حتى بلغ ضعف العقول في الرجال ان اسقطوا انفسهم واسقطوا معهم شركاء حياتهم بتحكمهم البارد وآرائهم التي لا مبرر لها من شرع وعقل.»

اليسوعيون والماسونية

هي نبذة من مقال كتبه «المنار» في ثورة فلسطين . لم يأتِ على موضوعه باستعداد

واقتدار : ذكر العصبة البابوية ولم يفه منها ، واتهم اليهود باتهم « ثلوا عرش الكنيسة» وهم براء من ذلك ، لان عرش الكنيسة لا يزال منتصباً حالياً ، وقال ان ملايين النصارى تشيعوا للماسونية ولم يأت بشاهد ثقة على ذلك . وتكلم عن سر الاعتراف ولم يدرك ما هو . على اني اخاله تكلم عن اخلاص وغايته كشف القناع عن مكايد اليهود الماسون فقال: (٣٨٧ : ١٣٦٨)

« من الحقائق الثابتة التاريخية ايضاً انه لم يوجد جماعة من جماعات البشر الدينية والسياسية عرفت كنه كيد اليهود ومكرهم في الامم ومقاصد الماسونية واهلها وتصدت لمقاومتهم واسقاط نفوذهم الا جمعية الجزويت الكاثوليكية ، وذلك ان الكاثوليك يدينون بوجوب الخضوع الديني والسياسي لاحبار رومية رؤساء الكنيسة المعصومين عندهم ، ويعلمون ان اليهود هم الذين ثلوا عرشها بنفوذ الجمعية الماسونية التي انتظم في سلكها الملايين من النصارى ومن غيرهم واكثرهم لا يشعرون ، لذلك بذلوا جهدهم في السعي لكشف الاستار عن أسرارها ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم لصد تيارها ، بتتبع عوارها ، وتقلم أظفارها ، وتحريم الدخول فيها على من يدينون دينهم الكاثوليكي ، ويقلدونهم في فهمهم وعملهم به ، وقد توسلوا الى معرفة أسرارها بعقيدة الاعتراف الديني الذي استباح به كثير من الكاثوليك الحنث بالايمان المغلظة ، ونقد العهود الموثقة ، بترجيح العقيدة الدينية ، على ما عاهدوا عليه الجمعية ، ولاسيما وقت الاحتضار ، حيث يغلب خوف النار على ذل العار.

من خفي عليه نفوذ اليهود في أحرار أوربة الغربية والوسطى وملاحدتهم وما كان من حربهم للكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى فلا اراه يخفى عليه ما كان من نفوذهم في ملاحدة الروس الذين أضعفوا سلطة الكنيسة الارثوذكسية بمجلس الدوما ، ثم استطوها بنزل عرش القياصرة دعاتها وحماتها ، وتأسيس حكم البلشفية في تلك الممالك الواسعة ، وما كان من نفوذهم في ملاحدة الترك باسقاط نفوذ الخلافة التركية العثمانية ، ثم بهدم الشريعة الاسلامية من المملكة التركية ، وجعل حكومتها إلحادية تسعى لمحو الاسلام من الشعب التركي ومن الشعوب الاعجمية الاسلامية التي كانت تابعة لها كالالبان والبوشناق وغيرها كالايرانيين والافغانيين.

اما البابوية !...

الوف والوف من البشر زاروا رومة في العام الماضي ، وشاهدوا الحفلات التي جرت فيها بمناسبة المعاهدة اللاترانية واليوبيل البابوي وتحدثت الصحافة آنذاك الى قرائها بروائع ما جرى في المدينة الخالدة ، وما زال صدى ذلك الحديث يتردد في الآفاق الى ان بلغنا منه صوت عن لسان المقتطف (١٩٣٠ : ٢٢) وصف السيد سامي الجريديني امجاد رومة القديمة وقد تفلص ظلها ثم قال :

« اما مجد البابوية فابقى !

وليست روما بعد زوال الرومان الّا عاصمة البابوات توارثوا كرسيها كابراً عن كابر قائمين باعباء الدين والدنيا حتى اواخر القرن التاسع عشر اذ آثروا السلطان الروحي على كل ما في العالم من سلطان . فكل قصر تراه في روما كان قصراً للبابا حتى الكريدنال مقام ملك ايطالية الآن . وكل كنيسة قائمة فيها كانت من بناء بابا حتى الينابيع المائية في طرق روما والتماثيل المنصوبة في معظم انحائها كلها بابوية الاصل والنسب وانه وان انكمش المجد البابوي وانحسر عن السلطة الزمنية فهو لا يزال مجداً روحياً ساطعاً ان تحول عن روما زالت ولم يبق لها اثر . وعظمة الكنيسة البابوية سرٌّ من اسرار الدهر .

حاربتها السلطات الزمنية دهوراً طوالاً فاخذت ما كان لها من قوة عالمية وظنّ اعداؤها ان قد حان اجلها فاذا هي مجردة عن السيف اقوى واثبت منها وسيف الدنيا مصلت على رقاب الملوك والشعوب . وانشقت عنها الكنيسة البروتستانية ومن قبلها الارثوذكسية فاذا هذه تلبس لباس الشرق وما عليه من خيال وسفسطة وبلاء واذا تلك — وقوامها البحث والجدل تنقسم على نفسها كنائس لا تعد ولا تحصى . واما البابوية فراسخة تمتد فروعها الى كل الانحاء واصولها الى السماء . وذلك انها تكيفت مع الزمن وهذا هو سرُّ العظمة في نظامها العجيب .

تلقت حملات لوثيروس ونادت تحتها حتى خيل الى الرائي انها قد اشرفت على الاضمحلال ثم عادت وقد اصلحت بيتها وطهرته بجيوش من الرهبنات لموا شعثها وانقلبوا بعد ذلك مهاجمين فصارت البابوية تسير الى الامام والكنائس الاخرى اما واقفة او سايرة الى الوراء . »

شذرات

حول السفور والحجاب

بحث المشرق (٢٦ [١٩٢٨] : ٣٦٦ ...) طويلاً في كتاب « السفور والحجاب » وابان فضل الآنسة نظيره وفضل والدها سعيد بك زين الدين في الموضوع . وكانت صحافة البلاد العربية قد رحبت اجمالاً بذاك الكتاب النفيس . بيد ان هذا الرواج استنزل على الوالد والفتاة نقمات المعاكسين ومنهم فريق من الشيوخ امتاز بينهم الشيخ مصطفى الغلاييني . فرأى المؤلفان ان يردّا على هذه الحملات في كتاب جديد سمياه «الفتاة والشيوخ»[1] . وها نحن نورد بعض مقاطع تظهر ما لاكثر هذه المناظرات من قلة الاهمية :

كانت الآنسة نظيره قد ذكرت في كتابها الاول مساواة المرأة والرجل في التكاليف الشرعية الا في ما خصّ الجهاد . فردّ عليها الشيخ الغلاييني بهذا القول :

« اما زعمك ان الرجل لا يخصّه الله الا بالجهاد فقط ، وما عداه من التكاليف فقد ساوى الرجل والمرأة فيه ، فهذه مغالطة واضحة . فكما خصّ الرجل بالجهاد فقد خصّه بالنبوة ، والخلافة ، والزيادة على واحدة ، وجعل الطلاق بيده الخ » (ص ٤٥ من القسم الاخير)

هذا عجيب من الشيخ ! ولكنّ الاعجب ان حضرته يذهب مذهب الدروينية واي دروينية ! قال :

« ان الرجل والمرأة في اصل الفطرة سواء . وقد كانا في اقدم الازمان شيئاً واحداً كما يقول المهرة الباحثون من العلماء[2] . وقد قضت حكمة الخالق ان يتدرّج هذا المخلوق في سنن الترقي والتطور حتى تميز الذكر والانثى . ثم ما زال يترقى حتى استبانت فيه الانسانية بعض الاستبانة . فاخذ الذكر والانثى يميلان متساويين في كثير من الاعمال حتى ارضاع الاولاد . ثم شاءت حكمة الله سبحانه ان يسير كل نوع منفرداً في طريق غير طريق الآخر . » (ص ٩٥)

ثم ان للشيخ حظاً من التهكم ايضاً ، اذ يصوّر الحجاب نعمة مباركة للنساء المحرومات من الجمال ، فيقول :

« مسكينات انتنّ يا من لم ينعم الله عليكنّ بنعمة الجمال ، انتنّ صفر على الشمال عند

---

١) الفتاة والشيوخ : نظرات ومناظرات في السفور والحجاب ، بقلم الآنسة نظيره زين الدين . وقف على طبعه والدها سعيد بك زين الدين — ٤٣٠ صفحة كبيرة ، المطبعة الاميركية ، بيروت — ١٩٢٩ .

٢) يعني الشيخ علماء الطبيعيين لا علماء الاسلام

الرجال . فاشكرنَ الله على حَظَر النظر ، ووجوب الغضّ من البصر . فان ذلك منه سبحانه عناية بكنّ ولا تتغمز على الآنسة نظيره زين الدين لاهلها شأنكنّ ، فانها منكنّ» (ص١٤٩)

وله كثير على هذا الطراز من البراهين التي اذا طالعها قرّاؤنا رأوا ، كما رأينا ، انّ الآنسة ووالدها اضاعا وقتهما الثمين في تخصيص مجلّد ضخم بالردّ على مثل هذه الإعتراضات الصبيانية ! ! !

ردّ على انتقاد

اتانا من حضرة الدكتور فيليب حتي في پرنستون (امبركة) الكتاب الآتي نورده بحرفه :

«ردًّا على انتقاد كتاب «An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in th Period of the Crusades : Memoirs of Usâmah ibn-Munqidh» المنشور بامضاء «ف.ت.» في عدد مجلتكم الصادر بتاريخ ت ٢ سنة ٢٩ والمبني على مراجعة صورة الصفحتين العربيتين المنشورة في الكتاب اسمحوا لي ان أجيب :

١ً الكلمة الواردة في آخر السطر الاول من الصفحة A٣٧ والتي « لم يوفّق [المعرّب] في حلّ لغزها ... ولعلها فجأةً » هي فجاء . اما كلمة « فجاءني » التالية لها في صدر السطر الثاني فهي مُهمَلة في الاصل ، لان ناسخ المخطوط بعد ان اثبتها ادرك انه كرّر اللفظة بعينها فشطبها بخطين صغيرين أفقيين لا يخفان على مَن أمعن النظر .

٢ً كذلك كلمتا « على ظهره » (سطر ٤) التي اغفلهما المعرّب — على قول المنتقد — فان الناسخ نفسه هو الذي أغفلهما وشطبهما بخط أفقي طويل ظاهر . والسبب واضح . فالناسخ بعد ان كتب « على ظهره » (اي ظهر الحصان) واردفها بقوله « في سرجه » أدرك ان المعنى تكرّر ، وقضى بوجوب الاستغناء عن التعبير الاول . وفي الصفحة نفسها كلمتان أخريان مشطوبتان بقلم ناسخ المخطوط وهي الرابعة من السطر الثاني والسابعة من العاشر . فلتقابَل .

٣ً اما لفظة « توسطهم » في آخر السطر ، فنحن لم نردها — كما حسب المنتقد — وهو معذور فيما حسب لان اللفظة لا أثر لها في الصورة المنقولة في الكتاب بل هي واردة واضحة في الاصل مضافة الى آخر السطر بقلم ناسخ المخطوط نفسه . وما كنت لأحفل بهذه الهنات [التي] « لا تكاد تستحق الذكر » لولا ان حضرة المنتقد بنى عليها حكمه بوجوب توقع غيرها .»

فوائد الملاريا

اتانا من حضرة الدكتور ابن الجميّل الشذرة التالية تعليقاً على ما كتبناه في شأن الملاريا ومنافعها :

قرأتُ في عدد المشرق الاخير ، صفحة ٦٧ ، فقرة في « فوائد الملاريا » فرغبتُ في زيادتها ايضاحاً ، وفي تعريف ما هو الداء المعالج بالبرداء.

إن من نتائج مرض الزهري ، ابن الزنى البكر ، علّة تفتك بالعقل واعصاب الجسم . وهي في عصرنا ، عصر العزوبة المستطيلة وانتشار البغاء ، من شرّ الآفات . والى امس كانت مجهولةً تماماً في بلادنا اي الى ايام المهاجرة ونقص الزواج او بُعده وفشو البغاء ، فصارت الآن المسبّب للجنون في ربع المحجور عليهم في المآوي كالعصفورية . والداء معروف باسم « الشلل العام » (*Paralysie générale*) وتعيينه بالنعت « عامّ » ضروري لان هذا النوع خاصّ بالزهري بضدّ الفالج ، او الشلل بدون قيد . وهو يختلف كثيراً جدًّا عما نسميه «الفالج» بدون زيادة (ولفظة فالج في العبرية والعربية تفيد شطر الشيء لا ما هو عامّ شامل) ، لانه يبدأ عادةً بالهذيان المشهور باسم «هذيان العظمة» اي الكبرياء ، او غير ضروب من الجنون كاولئك « المضطهَدين » الذين لا يلبثون ان يصيروا مضطهِدين متقمين خطرين . وكم من حوادث القتل واضمحلال الثروات نتجت عن هذه العاهة !

ثم ان الداء يؤثر في النطق واللفظ والبصر ، وينتهي بالشلل اي بذهاب القوى عامّةً وبالاخرى خلل انتظامها حتى المشي . واما الفالج الذي يُصيب الشيوخ فيغلب ، ان لم يكن قتّالاً في الحال ، ان يشلّ نصفَ الجسم فقط دون الشطر الثاني . وظلّ الداء بدون علاج بتة ، ولم يُفد فيه دواء حتى المشهور في معالجة الزهري الى ان باشروا المعالجة باخذ دم مصاب بنوع من البرداء غير الخبيثة ، يُحقن المُبتلى بهذا الدم فتظهر الحمّى . ومتى فعلت فعلها أُعطي الكينين الشافي العجيب من الملاريا .

والاختبار اظهر فائدة هذه المعالجة في بعض المصابين فقط . على ان مستقبلهم لم يزل مُهدَّدًا بالاخطار . فيا ليتهم بكل حال لم يزنوا ولم يُداووا !

مطبوعات شرقية جديدة

Grousset (René) : Les Civilisations de l'Orient. t. I^er. L'Orient . *II* - 362 *pp. gr.* 8°, 292 *reproduct.photo. Paris, Les Éditions Crès.* 1929

مدنيات الشرق

تكلمنا في مشرق السنة الماضية (٢٧ [١٩٢٩] : ٨٦٩) عن آخر مؤلف للكاتب وهو تاريخ الشرق الاقصى . وها هو يذيع اليوم كتاباً جديداً اجابةً لرغبة الناشرين كريس (Crès) وشركاه وقد كلفوه ان يكتب لجمهرة المتأدبين مقدمة عامة لدرس فنون آسية . وستحتوي هذه المقدمة على اربعة مجلدات ، يختص الاول منها ، وهو ما نصفه اليوم ، بالشرق بحصر المعنى ؛ والثاني بالهند ؛ والثالث بالصين وآسية الوسطى ؛ والرابع باليابان . اما المجلد الحاضر فيبتدئ بالعصر الظرّاني ، ويتوسع متدرّجاً بالمدنيات : المصرية ، فالكلدانية الاشورية ، فالفارسية (القديمة والحديثة اي الساسانية) فالعربية (الاموية والعباسية والحمدانية والفاطمية والايوبية ومدنية المماليك) فالفارسية الاسلامية

هذا ولم نرَ في الكتاب قسماً مختصاً للمدنية الفنيقية ولا الفلسطينية ، كما ان المؤلف لم يشر الى المدنية السورية ، مع انه تكلم عن مدنية الحثيين في كلامه عن المدنية الكلدانية - الاشورية . وهي ثلمة مهمة لا يظهر لها مبرّر ، ولاسيما اذا اعتبرنا القسم الضخم الذي خُصّ بالمدنية الفارسية (من الصفحة ٢١٢ الى آخر المجلد) . فنؤمل ان المؤلف يعمد الى سدّ هذه الثلمة في طبعة جديدة ، فيزيد قيمة كتابه المفيد الدالّ على انه عمل رجل مدقق وزين الاحكام .

اما التصاوير فحسنة بالاجمال وهي كثيرة جداً في ما خصّ القسم الفارسي فتؤدي الخدم الجزيلة لمن تخلو مكاتبهم من المخطوطات والرسوم في هذا النوع .

س . ر

Furlani (G.): 1°, La civiltà babilonese e assira. *VII* - 219 *pp.* in-16°,

2°, Leggi dell 'Asia anteriore antica. *XII* - 113 *pp.* 8° 1929. [*Publicazioni dell' Istituto per l'Oriente.*]

١ – المدنية البابلية والاشورية
٢ – شرائع آسية الغربية القديمة

بدأت ايطالية قبل الحرب تهتمّ بالتأليف في موضوعات الاستشراق وما زالت تتقدّم في ذلك يوماً فيوماً ، فانشأت بعد الحرب معهداً للدروس الشرقية الحقت به مجلة « الشرق العصري » (Oriente Moderno) الوافرة المعلومات الدقيقة الابحاث . ومن منشورات هذا المعهد كتابا السيد فورلاني ، الاستاذ في جامعة فلورنسة اللذان أهديا الينا مؤخّرًا .

ان الاستاذ فورلاني من علماء الحقوق ولكنه انصرف الى علوم الاستشراق حتى وصل اليوم الى مركز سامٍ في علوم الاشوريّات في بلاده . وهو يخصّ الاول من المجلدين المذكورين بمدنيّة سكان ما بين النهرين ، جامعاً الكثير من المعلومات في القليل من الصفحات ، ذاكرًا في آخر كل فصل المآخذ المفيدة . فبعد ان يلخّص تاريخ الاشوريات ، يعمد الى درس جغرافية ذاك الشعب ، فعنصره ، فتاريخه ، فلغاته وخطّه ، فديانته ، فآدابه وفنونه ، فعلومه الطبيعية ، والاجتماعية والحقوقية ، فجيشه وحروبه . يبحث في كل ذلك بايجاز ووضوح ومقدرة ، على الغالب . ويمكننا القول انه لا ينقص الكتاب الا الصور والرسوم ، وهو نقص نرجو من المؤلف ان يتلافاه في الطبعة القادمة فيزّين كتابه بجدول من اللوحات التصويرية يظهر ضروريًا . هذا واني لا اتردّد في القول انه اذا تُرجم هذا الكتاب الى اللغة العربية كان له رواج عظيم في بلاد الشرق عموماً ، وفي العراق وسورية خصوصاً ، فاين من يباشر هذا العمل ويطلب من المؤلف اذناً يناله دون ريب على ما نظنّ !

اما الكتاب الثاني فيحتوي ، بعد سلسلة من المآخذ الكافية ، على نصوص الشرائع السومرية والبابلية (وفيها قانون حمورابي الشهير) والبابلية الحديثة ، والحثية ، والاشورية في قبادوكية ، والاشورية المتوسطة ، مع بعض الشروح .

فتظهر كل هذه الشرائع مجموعة للمرّة الاولى في مجلد واحد . ومما يزيد قيمتها كون المؤلف من علماء الحقوق . وعليه فنحن ننصح لجميع وطنيينا من المحامين وطلاب الحقوق باقتناء هذا المجلد .

س . ر

René Aigrain : La Musique religieuse. *Bibliothèque Catholique des Sciences Religieuses.* 1 *vol.* 236 *p.* (12 × 19). *Bloud et Gay, Paris,* 1929. 12 *f^rs*

الموسيقى الدينية

هو كتاب جاء في حينه يخوض في تاريخ نوع من الموسيقى غاية في الغنى . ولم يكن لنا ، قبل اليوم ، في هذا الموضوع سوى فصول متفرّقة في التواريخ العامّة . لان كتاب فليكس كلمان (Clément) القديم وكذلك كتاب الدكتور ويمن (Dr Weinmann) لا يفيان اليوم بحاجة موسيقي العصر . فكان ان حضرة الاب ايكرن ، دون ان يُهمل الاشارة الى العلاقات المتينة والكثيرة بين الموسيقى الدينية ، سواء كانت كنسية او عالمية ، وتطوّر الفن الموسيقي العام ، اراد ان يظهر ترقّي الفنّ الديني وعظمته الجليلة ، فنجح بان قرن في مؤلفه الوضوح التامّ الى الكثير من المعلومات المختلفة .

F. Ammoun : La Syrie criminelle. *Essai sur la criminalité en Syrie, au Liban, dans l'Etat des Alaouites et en Palestine anglaise. Paris, M. Giard,* 1929, *in*-8°, 550 *pp.* 70 *f^rs*.

الجرائم في سورية

ان هذا الكتاب الذي يبدأ سلسلة جديدة من الابحاث عن الجرائم ومقابلة الحقوق الجزائية في معهد مقابلة الحقوق في ليون ، لجديرٌ بان يلفت اليه الانظار ليس فقط لكونه اول كتاب في الموضوع بل لان شخصية المؤلف عظيمة فيه ، وهي شخصية مبتكرة ، وافرة المعلومات . والكتاب يقوم ببحث دقيق في ما يخصّ الجرائم في العمران ، وحالتها في شعوب مختلفة الدرجات رقياً وتطوّرًا ، من قبائل البدو والجرائم عندهم ، الى اضطراب الامن على الحدود ، الى الجرائم المذهبية ، الى الشقاوة واسبابها الاجتماعية ، الى ذكر بعض طرق الارهاب

ادوية حافظة ... كلها صفحات يودّ كل اوربي ان يقرأها ، ويزيد قيمتها انها مكتوبة بقلم لبناني متضلع مما يكتب مدرّب على الطرق الصوابية في النقد التاريخي . وعليه فان الباب الثاني في انواع الجرائم السورية وذكر طريقة الاحتياط لها ، والباب الثالث في العقوبة ، هما من افضل اقسام الكتاب ، واوفرها طرافة ، واكثرها شخصية . على اننا لا يمكننا القول نفسه عن الباب الاول في المقدمة التي يتوسّع فيها المؤلف في اصول العقوبة واساس حق المعاقبة ، ثم في شرع سورية القديم . فان المسئلة الاولى من موضوعات الفلسفة والمؤلف يبحث فيها على طريقة المذهب الاجتماعي (*sociologique*) دون ان يتنبه للمبادئ الكاثوليكية ، والثانية ، وفيها يلقي المؤلف نظراً شاملاً على عدة قرون متتابعة ، تظهر بحاجة الى مزيد تعمّق . فينتج انه لو دُفع من الكتاب نحو الخمسين صفحة لبدا بمظهر تام للبحث الدقيق الوضعي الصحيح. ج.ل.

Martin Plessner : *Der* OIKONOMIKOC *des Neupythagoreers «Bryson» und sein Einfluss auf die islamische Wissenschaft. Carl Winter, Heidelberg*, 1928, *in-8° pp. XII-208. Prix*: 20 *M.*

كتاب تدبير المنزل « لبريسون » وتأثيره في العلم الاسلامي

نرى في هذا الكتاب ، وهو اولى منشورات السيد بليسنر ، طبعةً جديدة لكتاب تدبير المنزل الذي نشره المأسوف عليه الاب شيخو في مشرق السنة ١٩٢١ (١٩[١٩٢١] ١٦١–١٨١) مع عدّة روايات ، ثم ترجمةً عبرانية واخرى لاتينية وكلتاهما عن الاصل العربي (١٤٤—٢١٣) وقد اتبعهما المؤلف بترجمة المانية. على ان الاصل العربي نفسه منقول عن اليونانية ، وقد فقدنا لسوء الحظ هذا الاثر اليوناني الّا بعض شذرات . هذا وان المؤلف يوافق برگستاسر والاب بويج (ص ٣) في نسبة الكتاب الى فيلسوف من المذهب الفيثاغوري الحديث يدعى بريسون ، ثم يبرهن ، بدرسه لاهم آثار اقتصادي العرب (ص ٢٩–١٤٣) ان هذا الكتاب لم يفتأ يؤثر مباشرة او بواسطة في جميع مؤلفي المسلمين في هذا الموضوع حتى ايامنا.

الاب بولس موتزد

L. A. Constans : Guide illustré des campagnes de César en Gaule. *Paris, Belles-Lettres,1029. 132 pp. VIII planches et 1 carte hors texte, Prix : 15 f*

دليل مصوّر لغزوات يوليوس قيصر في بلاد غالية

عرفنا شركة غليوم بودي (*Budé*) لا يعروها الملل في سبيل المنشورات الادبية ، وها هي تبدأ اليوم سلسلة جديدة عنوانها « العالم الروماني » وغايتها ان توفّر لقُراة هذه الابحاث نصوصاً لاتينية كافية . من ذلك هذا المجلد الذي جعله المؤلف دليلًا لغزوات يوليوس قيصر لبلاد غالية ، فجمع فيه كل ما تثيره نصوص القيصر من المسائل في مـا خصّ تاريخ البـلاد وتخليطها ، والخطط الحربية التي سار عليهـا الغازي . فكان خير معاون لمعلّمي الآداب المدرسيّة وطلّابها .

A. Kaufmann:Ewiges Stromland.Land und Mensch in Aegypten. *8° XXVIII - 250 pp. 132 illustr. et 8 cartes, 2° édit. Prix : 11 M. Stuttgard Strecker u. Schröder.*

الارض والانسان في مصر

ظهر هـذا الكتاب لاول مرة سنة ١٩٢٦ ، فنال من الرواج ما جعلـه جديرًا بطبعة ثانية . ومن اسباب ذلك ان المؤلف اقام مدة طويلة في الاسكندرية مديرًا للمدرسة الالمانية فيها ، فعرف البلاد حقّ المعرفة ، وقد رتّب كتابه على نظام واضح مفهوم فدرس البلاد : تاريخها وجغرافيتها وفنها وكل ما يتعلق بسـاكنيها . وقد اصلحت اشياء في هذه الطبعة فزيدت فصول ، وأُعيد انشاء غيرها ، وحُسّنت الصور حتى غدت موافقة للوقت الذي تظهر فيه ج.ل

Mgr E. Beaupin: Les Missions catholiques. *Biblioth. cathol. illustrée, 56 pp., une centaine d'illustrations 4°, 75. Paris, Bloud et Gay.*

الارساليات الكاثوليكية

يبيّن هذا الكتاب الجميل المظهر ترقي الكثلكة الحاضر في البلاد الوثنية والاسلامية . وهو بما فيه من المناظر والصور الجميلة العديدة يلذ المطالع فيعينه

على ان يدور ، دون تعب ، حول العالم فيرى انه في القرن العشرين لا يزال يجهل اشياء كثيرة ، ولا يزال عليه واجبات مهمة من حيث القيام بواجبه الكاثوليكي

Le colonie italiane. *Notiziario geografico economico. Ministerio delle colonie. ufficio Studi e Propaganda, Anno 1929, VII. - Sindacato italiano Arti grafiche, Roma. Prix : 10 Lire.*

المستعمرات الايطالية

لا يمكن الانسان ان يتمنى افضل من هذا الدليل ليعرف ما يهمه عن احوال المستعمرات الايطالية في طرابلس الغرب ، وبرقة ، وبلاد الصومال ، وجزر بحر ايجه . فالخرائط في غاية الدقة ، والصور في ما يلزم من الاتقان ، والمعلومات مستقاة من مصادر رسمية ، والورق المصقول يزيد كل هذا مظهراً شائقاً .

N. Bertini : Pie XI et la médecine au service des missions. 154 *pp. in-12. Paris, Blond et Gay, 1929, Prix : 6 f.*

بيوس الحادي عشر والطب في خدمة الارساليات

هي محاضرة كان بدأ بها المؤلف سلسلة ابحاثه في معهد باريس الكاثوليكي سنة ١٩٢٨—١٩٢٩ ، فزاد عليها ونشرها كتاباً صغيراً ، وموضوعها الطب في الارساليات . وهي على قسمين : الاول في درس المسألة الطبية في بلاد الارساليات ، والثاني في ذكر ما قام به الكاثوليك من المشاريع الطبية في البلدان المختلفة فشجعهم قداسة البابا . ويُختم الكتاب بجدول يحتوي على الوثائق في الموضوع .

الكنوز الملكية في الزراعة المصرية : الجزء الاول

بقلم ملكه عبده الهوري

مطبعة كرارة بالحسين بمصر ؛ ١٩٢٨ ، ص ٢٧٤ وسط ، ثمنه ١٠ غ . م .

الزراعة المصرية لها وجوه . بعضها يشابه زراعة سائر البلدان وبعضها يخالفها لان لمصر نيلها ، وهذا عامل لا يوجد في غيرها من البلاد ، فهو يحمل في مياهه

ليس فقط الرطوبة الضرورية للاراضي ، ولكن التربة ايضاً فانها ترسب كل عام على سطح الاراضي الزراعية. والنيل يوفرة مياهه يحلل الاملاح المضرة المتصاعدة من باطن الارض ويذهب بها . ومن اراد ان يتمتع بخيرات النيل عليه ان يبذل عناية خصوصية ، ويستعمل ماكنات وآلات مجهولة في سائر البلاد . هذه تعليمات تبسط صاحب الكتاب بعرضها فاستحق الثناء.

ومن اقواله ان السماد المعدني المستعمل في غير مصر قد يأتي بنتائج حسنة حتى في البلاد المصرية ، وان خصب وادي النيل الشهير انما هو حاصل من حسن استعمال ذينك العنصرين: ماء النيل ، والسماد الاصطناعي. ا. ط.

الكنوز الملكية في تربية الارانب المصرية

بقلم ملكه عبده الهوري

المطبعة المرقسية . مصر ، ١٩٢٩ ، ص ١٢٨ ، وسط ثمنه ٨ غ. م.

قال المؤلف : « وجدت تربية الارانب والاعتناء بها في غاية البساطة وفي غاية الربح مع قلة المصاريف وعدم التعب في خدمتها.» (ص ٧) وقال ايضاً : ان قدماء المصريين عبدوا الارانب ، ثم اخذوا بصيدها ، ثم بتربيتها وتعلموا من ثم ان الارانب هي مورد من موارد الرزق لما في تربيتها من السهولة . اقرأ هذا المؤلف وتعلم كيف احتلت الارانب بلاد اوربة فبلاد اميركة فبلاد اوسترالية ، وكيف يصنع الطعام اللذيذ من لحم الارانب ؟ وكيف يربي الفلاح الارانب في مصر ، ويستنتج منها الارباح الجيدة ا. ط.

مصرع كليوباترا

تأليف احمد شوقي بك

مطبعة المعارف ، مصر — ١٠١ ص ، قطع ١٦ صغير

رواية تمثيلية ذات اربعة فصول تمتُّ بشيء الى التاريخ القديم ، فتدور حول وقعة « اكتيوم » البحرية وانتحار كليوباترا ، التي جعل منها المؤلف ملكة مصرية صميمة لا همّ لها الا رفعة وطنها ، ولا شغل الّا في سبيله . بيد ان ليس هذا ما يلفت النظر في الرواية ، فللمؤلف الحقّ ان يتصرّف ببعض وقائع التاريخ ، على ان لا يعاكسه . ولكن ما هو جدير بالذكر تجربة المؤلف

بجعل روايته كلها شعراً ، وبتنويع اوزان الشعر وقوافيه . لم نعدم الروايات التمثيلية الشعرية الصرفة قبل رواية احمد شوقي بك ، ولكننا عدمنا فيها هذا التنويع وما يجرّه من سهولة في التعبير عن العواطف ، وراحة للاذن بتعديد اساليب الايقاع الشعري ، فالرواية من هذا القبيل حقيقة بكل ثناء . اما هل توفق الشاعر في تنسيق حوادث الرواية ، وفي ايجاد اللحمة المتينة بينها جميعاً ، وترتيبها كلها الى الخاتمة دون انحراف ولا تطويل ، وبكلمة واحدة هل نجح في « تأليف » هذه القطعة المسرحية ؟ فهو ما لا يمكننا اقراره دون بعض تحفظ ، اذا ما انتبهنا لما في بعض الشخصيات الثنوية من التردد والاضطراب كشخصية أنشر مضحك الملكة ، وشخصية اولبوس الطبيب الروماني ، وشخصيتي الوصيفتين شرميون وهيلانة ، في بعض مواقفهم ؛ ولما في بعض المشاهد من التنافر كمشهد حابي وأنوبيس اذ ينصرفان عن الملكة المنتحرة الى الاهتمام ببعث وصيفتها هيلانة من الموت ، وما دافعها سوى حبّ حابي لهيلانة ، فيضعفان تأثير انتحار الملكة ، ثم يشوّه العاشقان والكاهن ذاك المشهد الفخم بمحاورة اقلّ ما فيها انها خارجة عن الموضوع . واما الشعر ففيه الضعيف المتكلف يركّ في المحاورة عادةً ، وفيه الرائع العالي يسمو عادةً في الخبر والخطاب . وقد تعوّدنا النوعين كليهما في شعر شوقي بك .

هذا ومما امتازت به الرواية انها أردفت بدرس نقدي نُظر فيه الى تاريخية الحادث وحظّ المؤلف من التصرّف به ، ثم حُلّلت اهمّ شخصيات المأساة فالقى بعضها اجلى منه في الرواية . ومهما يكن من الامر فان هذه التجربة حادث ادبي نرجو ان يكون فاتحة عصر جديد في آدابنا المسرحية . ف.ا.ب

ابو نواس : حياته وشعره

بقلم عبّاس مصطفى عمّار

مطبعة وادي الملوك ، مصر ، ١٩٢٩-١٩٣٠ - ١٢٤ ص ، وسط

هذا الكتاب غرسة من غرسات الدكتور طه حسين مبنًى ومعنًى . يسير على طريقته في البحث والتحليل فيصيب حيناً ، ويُخطئ احياناً بسبب انصرافه الى استعمال الحوادث التاريخية للبرهان عن نظرية تسبق في ذهن المؤلف نتائج

اتجاهه ؛ والوجه في الدرس التاريخي على عكس ذلك ، اذ يكون باستنتاج النظرية من الحوادث ، لا بتسخير هذه لاثبات الاولى . وهذا النوع من التفكير مقتبس عن الدكتور . اما ما يمتاز به الكتاب ، وهو ايضاً مما يمكننا ان نجد اصله في «حديث الاربعاء» ، فهو ما يشينه من التطرّف في ذكر امور وحوادث يخجل من تداولها من حرص على صيانة آدابه . من ذلك تلك الابيات التي استعاض عنها المؤلف بنقاط ، ولكنه عاد فشرحها على طريقة قد تكون اوضح من الاصل نفسه واوخم عاقبة مما لو اورده بنصه . والغريب في الامر ان الكاتب القى اتجاهه هذه ، بكل ما فيها ، على شكل محاضرات عمومية ، وفي مدرسة المعلمين العليا ! ولعلّ اغرب من كل هذا سذاجة المؤلف - ولا ادري كيف انعتها ! — اذ يدّعي ، مدافعاً عن اختياره لابي نواس: «ان النفس كثيراً ما تجد في المجون المعنوي عاصماً لها عن المجون العملي لان من الشهوة ما يكفي فيه الجانب الخيالي والذي قد يفسد ان صدقناها عنه . . .» ثم هو يدرس هذا المجون لانه « يقصد جانب الفن » ليس غير . . .

تلك ترّهات علقت مدة بالادب العربي ، فلما نبذها متحرّرًا ، تهافتنا عليها متوهمين فيها التجديد !

ف . ا . ب .

تراجم علماء طرابلس وادبائها

تأليف عبدالله حبيب نوفل

مطبعة الحضارة . طرابلس ، ١٩٣٩ ، ص ٢٠٢ ، ثمن كبير

تاريخ طرابلس كتواريخ امهات مدننا يكاد يلخّص تاريخ سورية ولبنان ، وفيه ذكر الدول التي تناوبت الحكم فينا منذ القدم الى يومنا . على ان طرابلس احتكّت بالشعوب الآتية اليها من البحر المتوسط اكثر من غيرها ، نسبةً لموقعها الجغرافي ؛ ولحوادثها ، ولرجالها علاقات جمة بالمدنيتين الشرقية والغربية . ذلك ما اخصب فيها تربة العلوم والآداب ، ولفت نظر المؤلف الى وضع تاريخها ، فاحيا رميمها ورفع اعلامها . وذكر اسم كلّ مترجم له ، واهم تواريخ حياته ، حيث تسنى له الوقوف عليها ، مع عناوين كتبه ومختارات اقواله . وممن كان يحق ان تذكر تراجمهم في هذا الكتاب: شهاب الدين النويري (ت ١٣٣٢م —

٧٣٢ه) صاحب الموسوعة: «نهاية الارب في فنون العرب». فانه تولى في طرابلس نظارة الجيش على ايام الملك الناصر ؛ ولاجين بن عبدالله الـذهبي حسام الدين الطرابلسي († ١٣٣٧م—٧٣٨ه) ؛ ومحمـد بن لاجـين الحـامي الطرابلسي († ١٣٧٩م—٧٨٠ه) ، وعلي بن خليل الطرابلسي (١٤٤٠م—٨٤٤ه) (راجع بروكلمان : تاريخ الاداب العربية) . على اننا نشكر للمؤلف همته وعنايته في التنقيب على آثار الادباء وحفظها ونرحب بكتابه. ف. ت.

الثقافة والتهذيب

لابي زهير الاندلسي

المطبعة الوطنية ، بيروت ، ص ٤٧ ، وسط ، ثمنه ١٥ غ. س.

صاحب هذه الرسالة تعاطى مهنة التعليم واحبها وهو يأبى الّا ان يراهـا شريفة معظمة ، ليس فقط في اعين الناس ولكن خاصةً باعتبار المعلمين انفسهم. فلذلـك ان وصف ما رآه في بعض الاساتـذة ، وفي بعض المدارس ، من التواني والنقـائص التي قلبت الحكمة الى قساوة فليس لوصفه سوى غرض واحد: لزوم تثقيف المعلّمين بالآداب والعلوم قبل ان يُعهد اليهم بتربية الناشئة.

ف. ت

التعليم الطقسي لطائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين

للاب جبرائيل مصوبع الراهب المخلصي

يحتوي هـذا الكتيّب على معلومات مفيدة للاحداث به يسترشدون الى معرفة الطقوس اليونانية الشرقية الجميلة ، وقـد نسّقه المؤلف تنسيقاً مدرسيًا بطريقة السؤال والجواب واسلوب بسيط سهل الحفظ لطلّاب وطالبات معاهـد الطائفة الملكية الكاثوليكية : فمن بحثٍ في الطقوس اجمالًا ، الى ذبيحـة القداس والليتورجيات الالهية الثلاث ، الى شرح وجيز في الاسرار ، الى باب الصوم والقطاعات والاعيـاد ، مع ملحقين في معنى الاعيـاد السنوية ورتب طقسية تقع في خلال السنة . هذا هو ملخص الكتاب . فنشكر للمؤلف هديته ، ونحثّ المعاهد اليونانية الشرقية على اقتنائه لفوائده الجمة. م. م.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الاول ١٩٢٩ — ١٥ كانون الثاني ١٩٣٠

روما والشرق

* في ٢٠ و ٢١ و ٢٢ كانون الاول اقيمت في الكاتدرائية اللاتينية في بيروت حفلات ختام اليوبيل البابوي . وفي رأس السنة بلغتنا الرسالة العامة التي اذاعها الحبر الاعظم مبيناً فيها ما جنته الكنيسة من ثمار العام اليوبيلي في العالم كله ، وخاصة في الشرق حيث اظهرت الكنائس ولاءها نحو الكرسي الرسولي . ودخلت في حيز العمل فكرة تدوين الحقّ القانوني للكنيسة الشرقية ، فعين لها الاب الاقدس لجنة من الاختصاصيين الغربيين وغيرهم ممن انتدبهم البطاركة الشرقيون لينوبوا عنهم في القيام بهذا المشروع الخطير . ومن بواعث السرور ان قسماً كبيراً من طائفة الروم الارثوذكس في مصر عيّدوا رأس السنة الجديدة طبقاً للتقويم الغربي

لبنان وسوريا

* أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً مستنداً الى قرار مجلس الوزراء الذي بتوجيه جميع المستشفيات المرتبطة بوزارة الصحة ابتداء من ١٥ الجاري على ان يبعث بمن فيها من المرضى الى سواها من المستشفيات الخاصة على نفقة الحكومة

* ومن اخبار دمشق ان الحاكم الاداري امر بان تباع الحاجيات الضرورية بالعملة السورية واصدر لائحة باسعار بعضها بهذه العملة . وعلى اثر ذلك ارتفعت اسعار القطع الفضية ، وهبط سعر الليرة الذهبية ، فبيعت الليرة الواحدة فيها بثلاثمائة وسبعة وعشرين قرشاً فضياً ونصف القرش ، بعد ان كانت بثلاثمائة واربعين قرشاً . وهي لا تزال مستمرة في الهبوط . وقد صرح مدير المالية ان الحكومة لا تعتبر القطع الفضية عملة رسمية ، بل العملة الرسمية هي الورقة السورية .

* انشأت المفوضية دائرة جديدة اسمتها مصلحة المياه وعهدت اليها في درس

المصالح المائية وما يتعلق بها من الشؤون الزراعية والصناعية والصحية في عامة المناطق او الدول الخاضعة للانتداب الفرنساوي ، والنظر في استثمار الانهر التي تمرّ باكثر من دولة مثل : العاصي والنهر الكبير والفرات والخابور واليرموق ، من رفع مستوى مائها على سدود لتنظيم الري وتوسيع مساحته ، واحداث اقنية منظمة له ، ومن ايجاد خزانات لمياه الامطار والفيضانات واخراج ما تحت الارض من مياه للانتفاع بها ، ومن تجفيف المستنقعات لتحسين الصحة وتوليد القوى الكهربائية وغير ذلك من المشاريع الاقتصادية . واشارت المفوضية بتأليف دائرة خاصة في الحكومة السورية تنظر في ما اشبه هذه المصالح مما يقع ضمن الحدود السورية ولا علاقة له بالدول الاخرى المجاورة . وقد ربطت هذه الدائرة السورية بوزارة الزراعة وقسمتها ثلاث مناطق : الاولى المنطقة الجنوبية وتتألف من دمشق وما يجاورها ، والثانية المنطقة الشمالية وتمتد من حلب الى دير الزور والى حماة وعامة سورية الشمالية ، والثالثة المنطقة الغربية وقوامها اسكندرونة وما اليها حتى انطاكية . وقد جعلت دمشق مركزاً لهذه الدائرة.

مصر

* تألفت الوزارة المصرية تحت رئاسة النحاس باشا زعيم الوفد ، وعين اليوم ١١ ك ٢ لافتتاح البرلمان

شرقي الاردن

* اتهمت حكومة شرقي الاردن بقايا الدروز المقيمين في منطقتها بحوادث تلصّص ، واضطرتهم جميعاً الى مغادرة المنطقة او البقاء في عمّان تحت مناظرة السلطة . وقد فضل اكثر الدروز مغادرة المنطقة والعود الى اوطانهم ، ووصل منهم كثيرون مع عيالهم الى الجبل ، وقدموا خضوعهم للسلطة في السويداء . اما سلطان باشا الاطرش فهو في حيرة من امره . والظاهر انه اصبح ضيفاً غير مرغوب فيه في البلاد النجدية